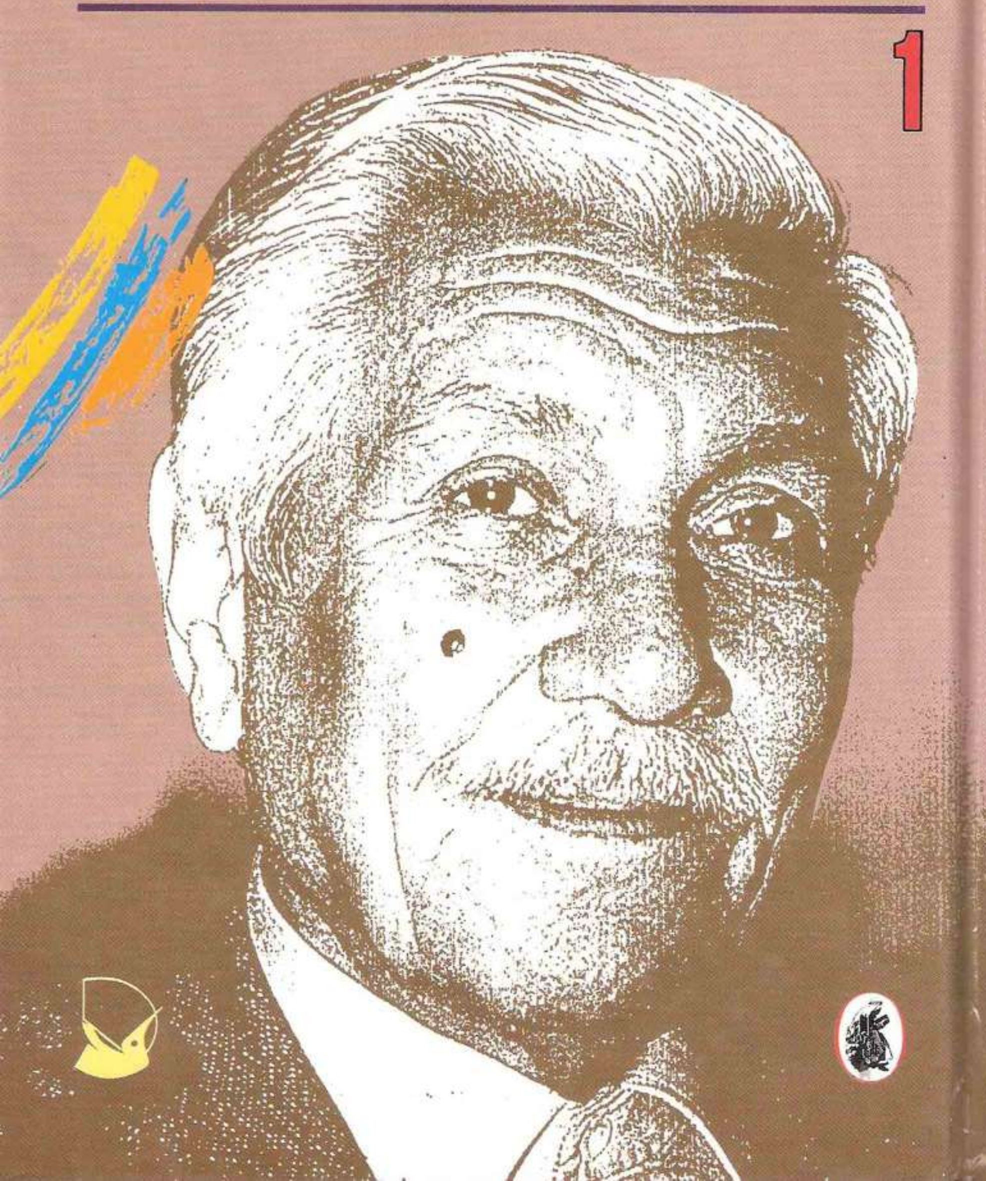
عبد الوهّاب البياتي

الأعمال الشعريّة

1





الشاعر

عبد الوهاب البياتي

الأعمال الشعرية

طبـعة منقحة ومزيدة

1995

المـؤسسـة العـربيـة
للدراسـات والنشـر

المركز الرئيسي:
بيـروت، سـاقـيـة الجنزير، شـارع برلين
بنـايـة برج الكـارلتـون
ت: 807900/1 ص.ب.: 11-5460
تلكس: LE/DIRKAY 40067 برقيًا: موكيالي



دار الفارس للنشر والتوزيع
عمان، الشميساني، شارع عبد الحميد شومان
عـمـارة بتـرا سنتـر، فـوق (مطعم بيـتـزاهت)
ت: 605432 فاكس: 685501
ص.ب: 915[illegible] عمان 11191



غالبري الفينيق

عبد الوهّاب البياتي

الأعمال الشعريّة

1




MOHAMED KHATAB

ملائكة وشياطين

كـطلاسـم الكـهـان ألـواني
وعـرائس الغـابـات ألحـاني
ألـبستهـا مـن زهـر أوديـتي
ثـوبـاً ، ومن أوراق بستـاني
وغمستهـا في النبـع عـاريـة
وغسلتهـا في دمـعي الـقـاني
ورفـعتـهـا عقـداً لـفـاتنـتي
حـبـاتـه أبيـات ديـوانـي

* * *

حـبـاتـه شعـر يـضيء عـلى
غـابـاتـهـا وينـيـر وديـاني
ويـدق بـاب الحب مـرتعشـاً
كـالحلم في أجفـان ولـهـان
ويهـزُّ في أعـمـاقـه صـوراً
بـرّاقـة كـبـريـق ألـوانـي
حتى إذا مـا الـنـوم أسلمـه
لـذراع من يهـوى تنـاسـاني

* * *

أيـلوذ فـي أدراج مـكـتـبـه

شعـري وتُنسى فيـه أشجــاني
وهـنـــاؤه من نـــار عـــاطـفتـي
شـفـتـــاي تـغــزلــه وأحــزاني
وحـبيبـــه من نـســج أخيـلتي
أبــدعتـه ولهيب حــرمــاني ؟
تلك الليــالي السـود شــاهـدة
عني ويشهـد سهـد أجفـــاني

* * *

يـا قـارئي ـ من لست أعــرفـه
قف وقفـة السكيـر في حــاني
إن كنت ممن لم يـذق ثمـر الـ
ـفــردوس من أنيـــاب ثـعبـــان
فـاطـرحـه من كفيـك معتصمـاً
بـــاسم الـذي أودى بـــإيمـاني
إني أخـــاف عليـــك مـن حلم
أمـــواجـــه تـبكـي بـشـــطآنـي

* * *

إني أخـــاف عليـــك من نــزق
يغــري مـــلائكتي بشيــطانـي
الجنــة الـخضــراء فـي دمــه
وجـهـنـم الـحـمـــراء سـيـــان
أوتـــاره أهــداب آلــهــة

وجناحه أشواق إنسان

في القاع تصفعه الرياح فلا

يدري من المصفوع والجاني

* * *

يا قارئي قف خاشعاً فعلى

أوراقه إشراق وجدان

إشراق أغوار ملثمة

بطلاسم ورموزَ كهان

واقرأ وراء سطوره عبراً

منها يطل عليك تحناني

وعيون شيطان مدامعه

تغري ملائكتي بعصياني

لاشيء تحت الشمس ، حتى السنا
غرّرَ - يا بؤس الليالي - بنا
لا شيء حتى ذكريات الصبا
عاد بها الشوق فماتت هنا
حتى التي كانت إلى قلبها
تضمنا إن ضاق صدر الدُّنى
طار بها الحقد إلى عالم
آفاقه أمست قبوراً لنا
يا موت ؟ يا صحراء ؟ يا صخرة
في ظلها جفت زهور المنى ؟
إن هبط الفجر غداً لن ترى
إلاَّ قبور الحب في المنحنى
ودوحة سوداء معروقة
تصيح من أعماقها « ليتنا
لم نعرف النور ولم تبترد
به عصافير الربى قبلنا »
فليت هذا الليل لا ينجلي
حتى نواري في الثرى حبنا
حباً ؟ وما أوحش هذا الهوى
إن جهلت حسناؤه من أنا ؟

كديمة مجهولة أمطرت
في جنة مجهولة موهنا
حتى إذا ما الريح هبت ضحى
طيَّرت الأوراق والسوسنا
فعادت الجنَّة مهجورة
قاحلة إلاَّ بقايا جنى
إلاَّ بقايا حلم كاذب
غرر - يا بؤس الليالي - بنا

أغنية زورق

أيها الزورق ! يا توأم نفسي
طال مسراك وراء الظلمات
فمتى يوماً على الشاطىء ترسي
وتغني للمروج الضاحكات !
أنا من خمرتها أترعت كأسي
وتغربت عن الدنيا بحسي
وعلى ينبوعها اشتقت الممات
فلمن تحمل هذي القبلات ؟

* * *

أبداً تضرب في جوف الليالي
طلباً للقوت إثر العاصفة
وأمانيك بحار من « لآلي »
بدم باعوك منها الزائفة
ومجاديفك غرقى في الرمال
تسأل الأمواج عن أفق المحال
ألقطعان المراعي الخائفة
تطلب القوت وراء العاصفة ؟

* * *

غـدك الغـامض إيمـان كشكي

وانتـظار سئمت منـه الـنجـوم

أعـلى مـا فـات ، يـا زورق ، تبـكـي

أم لأطيـاف على الأفق تحـوم ؟

أنـا لـلآتي وللمجهـول ضـحكـي

ولـمـاضـيّ ولـلأطـلال شـوكـي

فـلمن تـحـمـل أسـرار الـنجـوم

ألأطـيـاف عـلى الأفـق تـحـوم ؟

* * *

أنـا في اللجَّـة أغـرقت شـراعي

حينمـا أدركـه الـريـح البليـد

وعلى الشاطىء أرقصت الأفاعي

وتجـرعت مـن السـم المبيـد

وعـلى الأشـواك مـزقت قنـاعـي

وحـملت الـحب ميتـاً في ذراعـي

وبـه طـوفـت في الأفـق البـعيـد

فلمن تـحمـل أحـزان العـبيـد ؟

* * *

أيهـا الـزورق يـا تـوأم نفسي

طـال مسـراك وراء الـظلمـات

فمتى يوماً على الشـاطىء ترسي

وتغني للمـروج الضـاحكـات ؟

يا بقايا اللهيب في أعماقي
ثورة اليأس أطفأت أشواقي
وثلوج الحرمان ذابت بروحي
وجرت في دمي نشيش سواق
وخيالاتي التي ألهبتني
في صبايَ المجنون شدت وثاقي
في المهاوي التي يغور ويطفو
فوق أثباجها شراع انطلاقي
وصباحي الوهاج في الأفق يخبو
عطره في مقابر الإشراق
ظلمة فوق ظلمة وقنوط
وانطواء على الرماد الباقي
وانتظار يوحي بما لست أدري
ولقاء يوحي بما في الفراق
أأهاب المجهول وهو رماد
أطفأته الثلوج في أعماقي ؟
وقبور ,في جنة الحب كانت
ملتقى للربيع والعشاق ؟

* * *

يا بقايا اللهيب ! عاد ربيعي
فاستفيقي وأيقظي أعراقي

ذوّبي هذه الثلوج وطوفي
كالفراش المحموم في آفاقي
واسكبي في فم الصباح بقايا
هذه الخمر واسكبي للساقي
وصباي المجنون عودي إليه
فهو ما زال دمعة في المآقي
والهوى والربيع عادا فعودي
بسمات في خضرة الأوراق

* * *

أنا روح أقوى من الموت تنزو
في دمي لهفة العصور العتاق
لهفة الموت والحياة ودنيا
من جموح ومن هوى خلاق
وأساطير عالم كاد يخبو
في رماد القلوب والأحداق

* * *

يا بقايا اللهيب في أعماقي
مزّقي .. مزّقي شراع انطلاقي
أنا روح أقوى من الحب تزكو
بدمائي معابد الأشواق
ومن اليأس والرجاء فعودي
أو تواري ! إنّي على اليأس باق

... وحبي الوضيء كورد الربيع
تهالك شوقاً على دربها
إذا آمن الحب بالعاشقين
فإني سأكفر في حبها
وأكفر بالورد والزارعين
وأشرب دمعي على نخبها

* * *

أكاد أذوب .. أكاد أموت
على رفة الخيط من ثوبها !

* * *

إذا ابتسمت قلت هذي السماء
أراها تجول على هدبها
وإن أطرقت فهي سر ينوح
ويشكو إلى اللّه ممّا بها
فأنثر والدمع في مقلتي
زهوري على قدميْ ربّها

* * *

ومن عجبي والهوى قاتلي

حنوت على السهم في قلبها

* * *

... وحبي الوضيء كخمر الربيع
يعربد نشوان في كوبها
أكاد لفرط اشتياقي لها
أذوب اشتياقاً وأخبو بها
وأحرق عمري بها مؤمناً
وأكفر بالحب في قربها
أكاد أذوب أكاد أموت
على رفة الخيط من ثوبها

قلبي الحزين عرفت ما فيه
ذكرى توشوش في صحاريه
تعبى كأخيلة ... ملوَّثة
مبتورة بخيال ... معتوه
فالأمنيات بلجّه ارتجفت
سوداء تسأل ما لياليه
والوهم في أعماقه ابتسمت
عيناه عن صوت يناديه
إشرب فإن الفجر يعقبه
ليل ستظمأ في دياجيه
وتعيش بالذكرى بلا قدح
تجلو صداك على حفافيه
وتلوذ بالكتمان إن عبثت
كفي بجرح كنت تخفيه

* * *

قلبي الحزين عرفت ما فيه
الحب مات ولم تزل فيه
ذكرى توشوش في صحاريه

وتهيم باكية تناديه

إشرب فإن الفجر يعقبه

ليل ستظمأ في دياجيه

ما أبعد الماضي

ما أبعد الماضي وما	أوحش نفسي المتعبه
فكل ما أوحته لي	من نغمات مطربه
أحرقه الماضي ولم	تزل له مرتقبه
تسأل عنه الريح	والعوالم المحجَّبه
وتلتقي به فلا	تعرفه لتندبه
إن قلت يا نفس اهدئي	بكت بكاء المذنبه
وأمعنت في صمتها	وكلمتني معجبه
من صمتها من لوعتي	من شفتي المقطَّبه
تقول مت من ظمأ	ونح على من الهبه
كان الهوى قبراً لنا	فيه دفنّا الموهبه
يا أمس ! يا تابوتها	أما منحناك الهبه
هذي أزاهير الهوى	ذابلة معطَّبه
عبيرها جف على	صورتها المحبَّبه
وهذه رسائل	بخطها مضطربه
تريد أن أرجعها	لها . . . إلى المعذبه
وذاك منديل عفت	رسومه المخضبه
دموعها لما تزل	في طيه ملتهبه
وهذه أغنية	مهموسة مقتضبه
تنشدها في ألم	قيثارتي المعذبه

* * *

يا أمس ! يا تابوتها   أما منحناك الهبه ؟
كان الهوى قبراً لنا   فيه دفنا الموهبه

* * *

عادت ولكن للثرى   عادت كنفسي المتعبه
تبحث عن نار لها   بها تداوي المتربه
ولم تزل حتى هوت   عن عشها منتحبه
فباعت الحب لمن   باع إليها حطبه

لا تطبقي الأجفان عن حلمي فأخيلة المساء
وشفاه هذا الليل والأنسام تصدح بالغناء
ومعابد الصفصاف والأوداء تحلم بالضياء
يا زهرة الفردوس
في كوخي تنامين المساء

* * *

قبَّلت أحزان الربيع على شفاهك فاهجعي
لكن سينبثق الصباح فلا أراك بمخدعي
إلا بقايا من دموع قد مزجن بأدمعي
يا صيحة الأعماق
في كوخي تعالي واهجعي

* * *

أحرقت أجنحة الظلام على لهيبك فاسمعي
ما قالت النيران للباكي على حبي معي
ما قاله الينبوع للظمآن : ويك ألا تعي ؟
يا حسرة الظمآن !
في كوخي تعالي واسمعي

* * *

أنشودة الماضي وتمثال الطفولة لي عزاء

وعـرائس فـي فكـري الـخـلاق تـحـلم بـالـصـفـاء
وذبـالـة في الجـانب المهجـور تـشـرق بـالـبـكـاء
فتسـود في نفسي السكينـة
أيـن يـا نفـسي الـعـزاء ؟

* * *

لفًي رفـات الحب في طيـات ثـوبـك والجنـاح . . .
واعمي جفـون النـور في خصـلات شعـرك في الصبـاح
وتـنـقـلي فـي الأرض هـائـمـة عـلى مـتـن الـريـاح
فوق الضباب الحلو في الوادي
إذا انـتـفض الـجـنـاح

* * *

لكن سـأبحث دون جـدوى عنـك يـا روح الحبيبـة
في الصحو في الأحلام في الأحراج في الجزر الغريبة
وأهيم كـالمشـدوه في صحـراء حـرمـاني الكئيبـة
وأصيح في نومي وأسأل عنك
يـا روح الـحـبـيـبـة

* * *

أحسست في قـدمي بـروح خـدرت فيـهـا الجـراح
وأنـا أطـوف الليـل كـالأشـواق أخـطر في جـنـاح
فـدلـفت لـلوادي وكـاد على فـمي يـبكـي الـصـبـاح

وسمعت قلب الليل ينعي

يا أغاني ! يا جراح !

* * *

ينعى هوانا والسماء يكاد ينعاها الظلام

والنجم فيها ضحكة سوداء أيبسها الأوام

مرت على ثغري فماتت ثم ذابت حيث نام

والريح جرح تائه في الأفق

سَمّمهُ الظلام

* * *

فصحوت من حلمي أطالع صورة تحت الذبال

متضائل الأفكار تغمرني أعاصير الخيال

فسمعت أوراق الخريف تئن في قلب الليال

يا حسرة الأنسام ! يا حلمي

لقد همد الذبال

* * *

ونظرت للحقل البعيد وإذ بفلاح عجوز

في الأرض يبذر حبه الموؤود في بعض الحزوز

فمددت كفي ، أين حبي يا أغاني ، يا رموز

هل مات حبي واستحال

فؤادي الباكي عجوز

برعم

أخاف على الورد من جارحيه
ويجرحني في الهوى برعم
ويزْكو فيلثمه السارقون
ويحرم عن لثمه المغرم
وتجرحه خائنات العيون
وعيني له أبداً بلسم

* * *

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه يبسم
وأحنو عليه كأمٍّ رؤوم
وأكتم حبّي فلا يعلم
وينفر مني كظبي وديع
أحاق به صائد مجرم
وإني عليه ومنه أخاف
فأقتل في الصمت ما أكتم
وأطوي إليه صحاري الحياة
يمزقني سرّي المبهم

* * *

على طلل الذات مني بقايا

تشد الجراح ولا تُهزم
إذا أسر العاشقون الهوى
فإني إلى الحب أستسلم

* * *

وأقطع ليلي أنادي النجوم
وليلي من قلبه أرحم
أنادي فتغمرني الذكريات
ويغمرني موجها المظلم
وتعصف بي عاصفات الرّدى
فأرنو إليه وأسترحم

* * *

وأبكي وأبكي لعل دموعي
إذا لامست جرحه يبسم
وأحنو عليه كأم رؤوم
وأكتم حبي فلا يعلم

عزلة

عامان مرّا إثر صيف في ملال تلفتي
تتماوت الأيام حولي في مطارح غربتي
وأنا . . أنا كالوهم معتكف على قيثارتي
أشدو فأسمع في صداها قهقهات « تعاستي »

* * *

الحب والأمل الوريف عبدته وهماً هناك
وصلاتك العذراء ـ يا قلبي ـ تضاعف من أساك
أحرقت فيها زهرة حمراء تقطر من دماك
وعلى شغافك شوكها الدامي يرنح من قواك

* * *

يا قلب ماذا ؟ كل لحن مات في قيثارتي
اليأس والأوهام والحلم الوجيع ودمعتي
حتى خيالات الجنون تنفست في عزلتي
ولهاثها المسنون أمطارٌ تسيل بظلمتي

* * *

أتسمع الأقدام تضرب في الطريق ومن هناك
تحدو بها الآمال والآمال ذاهبة « دراك »

إلّاك يـا قـلبي قـبعـت تحـوك شـدواً مـن رؤاك
فـتحـوم الأنـغـام عـاريـة وتـرقص في لـظاك

* * *

تـتـسـاقط الأوراق ذابـلة بـصـمـت حـديـقـتـي
وشبـابي المغمـور يشحب في مجـاهـل وحـدتي
وأنـا . . أنـا كـالـوهم معتكف على قيثـارتـي
أشـدو فأسمـع في صـداهـا قهقهـات « تعـاستي »

التمثال المشوّه

نصبتك تمثالاً على شاطىء الذكرى
مشوّهة عمياء من طينة حمرا
يلوذ الصعاليك السكارى بظلّه
إذا ما دجا ليل الصعاليك وأغبرا
وتنسج فيه العنكبوت خيوطها
فتلقي على ماضي مباذله سترا
ويحتضر البوم المشوّه باسطا
جناح الخطايا فوق أطماره العرى
وتلتفّ أفعى لعنتي حول صدره
لتمتص من نهديك ما أبقت الذكرى
سيبقى على شط الليالي كصخرة
مهشّمة حمراء يحتضن الصخرا
يطوف أسارى الحب من حوله فلا
ترف له عين وكم ضاجع الأسرى؟!
وتهفو النفوس الظامئات لمن هفا
وأشواقه في القلب مخنوقة حسرى
وسوف يضيء الفجر ليلي وترتمي
على قدمي الأحلام مزهوّة سكرى
فإن هوّمت يوماً على شاطىء الدجى
خطاي ولم أجزع حفرت له قبرا

ألا تسمعين بقايا النشيد
يموت على شفتي الظاميه ؟
لقد أطفأ الحب مصباحه
ولم تبق في قلبه باقيه
وهوّم طيف النعاس الثقيل
يغلف أجفانه الداميه
ويلقي عليه ستار الظلام
كأن لم تكوني له هاديه

* * *

ألا تسمعين ؟ ألا تسمعين
على شفة لم تعد قادره
على شفة أحرقتها الكؤوس
على شفة لم تعد طاهره
على شفة لا ترى في الجمال
سوى زهرة للثرى صائره
وماذا يحس الفؤاد المهين
وأشواقه في الهوى عاثره ؟
وأغفو لأنسى هواك القديم
وإذ أنتِ في غفوتي تسهرين
وعيناك في روعة الذكريات

تجود بما في الهوى تبخلين
تبلل بالدمع حلماً مضى
إلى غير ما رجعة أو حنين
فتشهق أنفاسه المتعبات
أما زلت يا فتنتي تذكرين ؟

* * *

وأصحو لأنسى هواك اللجوج
فأكتم في الصحو أنفاسيه
أخاف ! أخاف خيالاً يلوح
خيالاً ليقتلني ثانيه
وهل في الطريق سوى الذكريات
وأشباح أيامه الفانيه
تلوّح في قبضة من تراب
إلى الريح والنجم والهاويه

* * *

وأمضي إليك مع السائرين
لأنسى جراحي ، لأنسى الهوان
لأنسى مواعيدك الكاذبات
لأنسى مكاني ، لأنسى الزمان
ولكنني في طريقي إليكِ
أحس بصوت يفيض حنان :

سنوصد دونك باب الهوى
لتقضي شريداً ، وحيداً ، مُهان

* * *

وأسأل عنك سؤال الغريب
يفتش عن روحه الهاربه
وأصغي لعل قلوب الجماد
تحرّكها صورتي الشاحبه
فتفترّ عن بسمة في الظلام
تدل عليك .. ولو كاذبه
ولكنني عند ذاك الجماد
أخاف ! أخاف من العاقبه

* * *

وأمضي أسائل عنك الطريق
وما في الطريق سوى الذكريات
تشيِّعني قهقهات السنين
وأشباح موتى غلاظ قساة
وأصداء ماض يقول هنا
نثرت الأقاحي وحبّك مات
فألمح في أوجه العابرين
نحيب الثكالى ونوح النعاة

* * *

وأصحو فأبكي وما في الطريق
سوى زهرة في الثرى ذاويه
سوى زهرة من زهور الربيع
وآثار أقدامك العاريه
وحشد من الطير فوق الوكون
تساورها اللوعة القاسيه
وبُقيا نشيد بقلبي يموت
وأصداؤه في فمي باقيه

* * *

وأطرق باباً وراء الخيال
وراء الشروق، وراء الغروب
فألمح من خلفه الذكريات
تهيىء لي زهرات وكوب
وآلهة حولها يرقصون
على رنة العود فوق اللهيب
وأرواحهم من خلال اللظى
تقهقه نشوى بوجهي الكئيب

الليل لف بساعديه أضالعي
وأنا وقلبي في الدجى نتشوف
لا الليل يدري ما نحوك بصمتنا
حتى ولا الأَحداق منا تعرف
فهناك في قلب الظلام خميلة
نمّت على طفلين يعتنقان
طفلين في عرس الربيع تظامأت
شفتاهما فتعانقا بحنان
لم يعرفا دنس الحياة ولؤمها
فهما على وتر الهوى نغمان
يتناجيان إذا النجوم تناثرت
والريح قلب والدجى أذنان
قالت له : « في العالم الثاني
إما قضينا سوف تلقاني
وإذا ضياء الفجر أيقظني
بدموعه أطبقت أجفاني
وإذا الخريف الجهم باكرني
وهواك في الغابات ناداني
سأحور زنبقة على غصن
بيضاء كالماضي لتهواني
وأعود في شفتيك أغنية

تبكي الجماد على هوى فان »
الحب أم عدو الظلال ترى
يخشى على عقباه طفلان ؟
« من نحن يا حبي ؟ أأغنية
أم ضحكة أم عود ريحان
هذي الخميلة بالهوى عبقت
وغداً ستمسي وكر شيطان »
فتلمظت شفتاه واختلجت
« أختاه ! هل في العالم الثاني . . ؟
الزهر ؟ ما نفعي بزنبقة
تفنى على مستنقع فان
الشعر ؟ ما نفعي بأغنية
مصبوغة من دمعي القاني
أنا لا أحب الحب أخيلة
وتعلة في ليل أحزاني
من نحن يا حبي ؟ أحس بها
كالنار في أعماق وجداني
وأحس فيها رجع عاصفة
ستطيح في حبي وإيماني
من نحن يا حبي ؟ » وعانقها
والليل كالمستوفز الجاني
هذي الخميلة بالهوى عبقت
وغداً ستمسي وكر شيطان

عيناك باسمتان مثل بنفسج يتفتح
في الغاب ... في الليل العميق
في معبد الحب السحيق
حيث السعادة لا تنام
إلاّ على سرر الغرام
حيث الأزاهر لا تفيق
إلاّ على همس الطريق
عبرى يبللها الندى
حيرى أيقطفها الردى ؟ ...
في صحوة الفجر الجميل
من غصنها النامي البليل

* * *

إطراقة حيرى يظللها لقاء عابر
كلقاء أبناء السبيل
في ظلمة الليل الطويل
يتسكعون بلا رجاء ...
ويضربون بلا عزاء
في مهمه خاو رهيب

في عالم الصمت الكئيب
حيث العواطف تستحيل
ضرباً من اللغو الثقيل
والدمع والظل الظليل
ما الدمع ؟
هل يروي الغليل ؟
شفتاك راجفتان مثل خواطري
إذ ترجف
كادت وهمت بالسؤال
وكأنها قالت :
تعال!
الليل يهمس والسكون
والنهر والموج الحنون
وجوارحي النشوى :
تعال !
إني عشقتك في الخيال
من قبل كنا أو نكون
من قبل أن تصبو العيون
النهر يهمس والظلال
وكأنها قالت :
تعال !

* * *

شفتـاك ظـامئتـان مثلي للهـوى تتلهف
لكن أنا
من قد أكون ؟
أأصاب أوهامي الجنون ؟ . . .
لا . . .
لن أجيب ولن أعود
وأستجيب إلى الوعود
مـاضـيّ أغـفـى واسـتـراح
لا . . .
لن أعود إلى الصباح
لـكـن سـألـتـك مَـن أكـون ؟
فـهـنـاك غـيـري فـي الـدجـون
يهفو إليك . . .
أتسمعين ؟
نجواه
في الريح الحزين

آمنت بالليل الذي لا ينتهي
ودفنت في جنح الظلام صباحي
وحطمتُ أقداحي على شفة الهوى
ولقد حطمتُ على الظما أقداحي
من لي بظامئة تزيد تعطشي
وتسم في سود الظنون جراحي ؟
وبصحوة مخمورة تئد الرؤى
وتشل إحساسي بسكرة صاح
وبقمة ثلجية دون المدى
أطوي عليها في الثلوج جناحي
ماذا أريد من الصباح وقد ذوى
زهر الربيع على ثمالة راحي
وشموعي اللائي أضأت بها الدجى
شربت سناها ضحكة الأرياح

* * *

يا ليل ! يا غاب العطور ! ويا صدى
حبي الذي قد مات قبل صداحي
هل في فضائك من خيال مارد
يهوي على ليلي بقبضة ماح ؟
هل في نجومك من شهاب جامح

يــدمـي على قـبــر الشـبــاب جـمــاحـي

* * *

آمــنـت بــالــلـيــل الــذي لا يـنـتـهــي
وحــطـمتُ من فــزع الــرؤى مـصـبــاحـي
ونــهــزت فـي نــهــر الــظلام مـشــاعــري
حــتــى تــخــضّــب مــاؤه بــجــراحــي
يـا ليـل ! يـا غـاب العـطور ! ويـا صــدى
حبـي ! ومــبـكــى أمـســه الــمـلتـاح !
هــذا الــخــريـف يــجــذ أوراق الــهــوى
ويــهــز مــن ظــمــأ الــهــوى أدواحــي
لا الــريـح تفهم مــا أقــول ولا الصــدى
يلقي عـلى سمـع الـخــريف صـيـاحـي
أأمــوت والــلـيــل الأبـيــد عــلى فــمــي
نــغــم يـضـيــع بــعــالــم الأتــراح ؟
والـحب والـمتــع الـخــوالــد والـضـحـى
وهــم يـعــربــد فــي جـنــون ريــاحـي
فــكــأن خــلف الـليعل لـيــلاً آخــرا
والــمــوت بـيــنـهــمــا يـجـر وشــاحـي

رجعت إليك كطير جريح
يعود من الغاب عند المساء
يلوك بمنقاره زهرة
ملطخة ببقايا ... ... دماء
فألقى إليك بأشلائها
وعاد جريحاً كما هو جاء
يرف بعيداً وراء السراب
ويطوي الصحاري ... صحاري الظماء
ولكن أجفانه الناعسات
بكين ! وماذا يرد البكاء ؟
لو ان السراب يعي ما الذي
يعاني الظماء لأهرق ماء
فمات فلم يبكه طائر
سوى هارب من جحيم السراب

* * *

أكانت حياتي كهذا الجناح
صراعاً مريراً ومحض اكتئاب ؟
ألا فاسكتي يا جراح المساء
فإني وهبتك حتىٰ الشباب
وماذا عليّ إذا لم أكن

إلـــهـــاً وحـــلـمـــي تـــوارى وغـــاب
لـقــد كــان لي في ضـفــاف الــسـمــاء
مــطار كـقـلبي رحـيـب الـجـنــاب
ولــكـــن أشـــواقـــي الــعــاصـفــات
تـنــاوح فـيــهـا حـنـيـن الـتــراب
فـعــدت إلـيــك كـمــا تـعـلميــن
جــريح الأمــاني خضيب الــرغــاب
تعاودني ذكريات السراب

فأبكي وماذا يرد البكاء ؟

عيونك الخضر

عيونك الخضر التي أترعت
جامي بخمر الألم المبدع
أمواجها ما برحت تلتقي
كأنها الينبوع في أضلعي
أحسها في لهفتي ، في دمي
في خفقات القلب ، في أدمعي
كأنها أظلال صفصافة
على مرايا جدول مسرع
ظللت أستدني على بوحها
خيالك النائي ولم أهجع
وهمت كالريح بلا مأمل
من بلقع خاو إلى بلقع
تفجأني ذكراك مذعورة
وتلتقي عيناك فيها معي
أقول إن مرت بقايا هوى
حسناؤه ولّت ولم ترجع :
« غداً ! غداً » يا ويلتا من غد
يا ويلتا من غدي المفجع
« غداً ! يعود الحب في عودها
ويرتوي من نبعها بلقعي »
وألتقي بالغد لكن بلا

وعد ولا لقيا ولا منبع

* * *

عيونك الخضر وإن أذبلت
وردي فجف العطر في مربعي
ما زلت في أمواجها برعماً
تلهمني في الحب ما لا أعي
كأنني أسطورة في الهوى
وأنت من أربابها الهجع
هذي قرابيني لما تزل
في ديرك المهجور لم ترفع
غدي وأمسي بعض أغلالها
وبعض ما جف من الأدمع

أعطيتني سر الغناء وقلت لي :
إهبط من الفردوس أنت ومزهري
ما كنت في الفردوس إلا خاطئاً
في قلبه جفت منابع أنهري
فنزلت في واد يقال بأنه
للجن كان حديقة ولعبقر
ويقال إن الملهمين بظله
نهلوا أفاويق البيان المسكر
فلمحت في أحنائه جيف البلى
تطفو على مرآة نهر أخضر
وبهائماً ترعى هشيماً يابساً
وتلوك أقصاب الهواء الأصفر
وحطام قيثار يقال بأنه
بالأمس غنى في رعاية (قيصر)
(جنكيز) ضفدعة على أوتاره
لصقت فأورثت الجنون (لأنور)
أنصاف أقزام أراغ نفوسهم
لمع السراب على الدم المتفجر
حملوا الضمير جنازة وأمامهم
وقف الفناء على الطريق المقفر
فهتفت من أنتم؟ فقيل بأننا

أحـــفـــاد عـــبـــقـــر وانـــتـــحـــار الأعـــصـــر
كلنــا الـمــديــح إلى الفنــاء فقــوّضـت
ضـــحـكـــاتـــه عـــمـــد الـمـــديـــح الأزور
الـــنـــور أبـــقـــى مـــن رفـــات بـــيـــانـــنـــا
مـــثـــلاً شـــروداً لـــلظلام الـــمـــنـــكـــر

* * *

مـــا عـــبـــقـــر الـــفـــنـــان إلا قـــلـــبـــه
فـــإذا قـــضـــى جـــفـــت مـــنـــابـــع عـــبـــقـــر

يا غيوم الربيع هذا فضائي
موحش يسكب الملال عليا
وغطاء الظلام يثقل روحي
فيغيب الوجود عن مقلتيا
وخفوق السكون يرهق حسي
ويندي بهمسه مسمعيا
يا غيوم الربيع هذا فضائي
موحش يسكب الملال عليا

* * *

يا غيوم الربيع هذا فؤادي
في جحيم الهدوء للصمت يشكو
شرب العاشقون في الحب خمري
ونصيبي من خمرة الحب شك
ألهم خمرتي ولي عبراتي
ولقلبي البكا وللناس ضحك ! ؟
يا غيوم الربيع هذا فؤادي
في جحيم الهدوء للصمت يشكو

* * *

يا غيوم الربيع هذي دموعي
في دروب العشاق ضاعت هباء !
مثل نجم في البيد يهدر ضوءاً

مـن سـمـاواتـه إذا مـا أضـاء
أو كـزهـر ذوى وضـاع شـذاه
قبـل أن يـرثي الـربيـع الشتـاء
يـا غيـوم الـربيـع هـذي دمـوعي
في دروب العشـاق ضـاعت هبـاء

* * *

يـا غيـوم الـربيـع هـذا ربيـعي
الحنين الـمجهـول أهـرق جـامـه
والفـراغ الـذي يجـوع فيعـوي
سـددت كـفـه إلـى سـهـامـه
فـأصـابت مني ومـن كـبـريـائي
وأهـالـت على الجـراح حـطامـه
يـا غيـوم الـربيـع هـذا ربيـعي
الحنين الـمجهـول أهـرق جـامـه

* * *

يـا غيـوم الـربيـع صـبي دمـوعـاً
فـوق صحـراء عمـري المهجـوره
أحـرقي الشـوك والـرمـال وصـوني
زهـرات في صـمـتـهـا مـقبـوره
زهـرات لـو جـادهـا الغيث يـومـاً
لـبكى الـروض من حيـاء زهـوره
يـا غيـوم الـربيـع صـبي دمـوعـاً
فـوق صحـراء عمـري المهجـوره

عينان أطبق جفنها السهر
وفم على الأقداح يحتضر
ويدي على خديَ هامدة
مثلوجة ... وكأنها ... حجر
وخواطري بله مغمضة
تطفو وترسب حولها الذكر
نكأت جراح الكأس فارتعشت
آه يقص جناحها الضجر

* * *

آه كأن الليل يلفظها
وكأنها المصباح في الحان
وكأنها عينان من حجر
أهدابها أنفاس سكران
وكأنها سكين منتقم
لمعت على وجهي وأجفاني
الخمرة السوداء جمرتها
ورمادها صمتي وإذعاني

* * *

والحانة الشهّاء ناعسة
والنور يفرك جفنها الشحبا

فتنند حشرجة على فمها
تسقي من الأقداح ما نضبا
وتبل غلة ظامىء نهم
أغفى على ماضيه منتحبا
ودم ... وأنغام ... وأخيلة
سود الثياب تراقص اللهبا

* * *

وخمائل صفر ... ونافذة
منها تطل علي عينان
ويدان من شمع تمر على
خدي فتمسح دمع أجفاني
رباه عينيها أتلك أرى
أم كوة خضراء في الحان
وخمائلاً أم أوجهاً شحبت
ويدين أم هبوات نيران ؟

* * *

أوَ حانة أم تلك هاوية
ندمانها الوهم والترح ؟
سحب الدخان تكاد تخنقني
ويكاد يشرب خمري القدح
أين النديم وخمرتي نضبت
والليل يطفىء نجمه الصبح ؟

أين النديم أنام أم لعبت
في رأسه الصبوات والملح ؟

* * *

ظمأ وأطياف ملثمة
تنساب ضاحكة وأقداح
وحفيف أثواب معطرة
وستارة زرقاء تنزاح
« باخوس » في طياتها حلم
وثمالة سوداء تنداح
وقصيدة بالنار تنشرها
شفتان أحرق لونها الراح

* * *

أين الصباح يكاد يخنقني
هذا الدخان الداعر النهم ؟
وأكاد ألمح في سحائبه
نجماً يهدهده الدجى الهرم
نجماً هنا ... بالأمس كان هنا
في كأسي الظمآن يضطرم
رباه ! مات الصبح أم كتمت
أنفاسه الأقداح والظلم ؟

* * *

وحدي ! يكاد النوم يحملني
بذراعه وأكاد أحتضر
وخواطري مستنقع ركدت

فـي قـاعـه الأعـشـاب والـصـور
ودم ... وأنـغـام ... وأخـيـلة
بـله الـعـيـون كـأنـهـا الـقـدر
ضـحـك الغـبـاء على مـبـاسمهـا
والـجـوع والـحـرمـان والـذعـر

* * *

بـله العـيـون على الـطلى عـكـفـت
كـفـراشـة حـمـقـاء تـحـتـرق
مـحـرابـهـا أحـضـان غـانـيـة
وصـلاتـهـا الـقـبـلات والأرق
ونـهـود مـغـنـاج مـصـوحـة
يـنـثـال مـن أردانـهـا الـشـبـق
حـفـر الـرعـاع عـلى مـبـاذلـهـا
وشـمـاً كـجـرح الـعـار يـخـتـنـق

* * *

وشـمـاً يقـهـقـه كـلمـا اخـتـلجـت
أوصـالـهـا ويـقـهـقـه الـعـار
فـيـطل وجـه نـاحـل شـحـب
الـبـؤس يـسـخـر مـنـه والـثـار
ومـقـابـر سـود ... وبـاكـيـة
عـبـراتـهـا فـي الأرض أزهـار
الـدود فـي أوراقـهـا قـيـم
تـمـتص عـفـتـهـا ... فـتـنـهـار

* * *

قيم يصوغ الكذب أحرفها
ويفوح من ألفاظها العفن
العار يأنف أن يصافحها
وتعافها الديدان والدمن
أقزامها أشباح مهزلة
عرّى يعيد فصولها الزمن
والسوط والحرمان في يده
والخمر والأزهار والكفن

* * *

سوط ... وأنهار محرمة
شطآنها قيد وسجان
وهديرها أفعى يضاجعها
في مخدع الأقزام ثعبان
وزوارق بيض يحطمها
في صخرة الأموات طوفان
أشلاؤها في الحان قابعة
يرثي لها ولحبي الحان

* * *

وحدي ! وقاتلتي ـ وإن جهلت ـ
ماذا يدور بحلمها الآنا ؟
أترى الهوى الوحشي منتقماً
من حبها العذري سكرانا ؟
أترى رؤاي على الطّاي جمدت

وتصاعدت في الحان ألحانا
أم أنها في حضن سيدها
ولْهى تقبل ثغره الآنا؟

* * *

أترى هواي يكاد يوقظها
من نومها ... ويكاد ينتحب؟
أترى حطام الكأس في شفتي
نصلاً يؤجج حقده الذهب
ومقابر الأحياء ... فاغرة
أشداقها ... والنصل يلتهب
أم أنها في صمت مخدعها
كالضفدع المكسال تنقلب؟

* * *

وحدي! يكاد النوم يحملني
بمحفة الموتى ... إلى العدم
وكأنما الأقداح ... عاشقة
قعدت بها شهوات ملتحم
نضبت ومات الليل واحتضرت
آه النديم على جراح فمي
والحانة الشهّاء ... نائمة
منهوكة أنفاسها ندمي

* * *

وتر الفن نغمة أنت فيه
لم تلحّن إلا بأعماق قلبي
ستموت الأوتار واللحن يبقى
في الليالي يعيد أصداء حبي
« فاسكبي روحك الحنون » بروحي
لأرى من صفائه وجه ربي
وأغنيك للربيع قصيداً
عبقرياً يسبي الغيوم ويصبي

* * *

زهرة أنت في ربيع حياتي
بلّلتها الأنسام من عبراتي
واحتواها الصباح وهو بقلبي
ذهبي العبير والنغمات
وأسرّت بأذنها وهي سكرى
والهات الأنداء والنسمات
إن في الروض بلبلاً يتغنى
فاسمعيه يا ربة الزهرات

* * *

فكرة أنت جسمت أشواقي

وأضاءت بنورها أعماقي
واستحمت من قبل ميلاد فكري
في خيال الطبيعة الخلّاق
صوتها لم يزل من الغيب يجري
وصداها يضجّ في الآفاق
كلما لامست خيوط شعوري
أطلق القلب صيحة المشتاق

* * *

ناعسات الجفون تفغم حسي
بشذا زهرة على النبع تحلم
مرّ راع عند الضحى فرآها
كعروس والتاج بالطلّ مفعم
وعذارى الزهور حول صباها
قد شهدن الراعي كذلك يحلم
فتبسّمن في حياء فأغضى
جفنه للثرى مخافة يأثم

* * *

كنت بالأمس عاشقاً بيد أني
في ظلام الأدغال أدفن عشقي
في ظلام الصمت الحزين بدمعي
كنت أخفي هواي عنك وأسقي
ثم ماذا ! لقد رأيتك يوماً

كـوكبـاً ذاب في سمـائي وأفـقي
فـتـنـهـدت مـتـعـبـاً وفـؤادي
صـاح أهـواك يـا مـدافن شـوقي

* * *

أنـا أهـواك ؟ لست أدري لمـاذا ؟
ألأنـي وجـدت صـورة نـفـسـي
أم لأني حُـرمت مـن عـطف أمي
فنشـدت الحنـان منـك ليـأسـي
أم لأنـي رأيـت فـيـك مـثـالاً
لمعـانٍ تـظامـأت تحت حـسي ؟
فـدعـيني أهـواك للحـب حـتى
يـحفـر الـحب في فؤادك رمـسي

* * *

أنـا روح مـشـرّد في الـوجـود
فـدعيني أهـوى ولـو من بـعيـد
لا تـشيـحي إذا رأيـت وجـومي
هـكـذا ؟ هكـذا أردت وجـودي
في أغـاني النسيم في الفجر إمّـا
رقَص الـورد رقـصـة الـمكـدود
في صـلاة العصفـور والعش ملقى
تحت أقـدام دوحـة في الجـليـد

في صبـاك النشوان ألمـح طيـراً
وربيعـاً مـن الـعـواطـف مُـغْـرم
وقـفتْ فـي حمـاه ربّـة شـعـري
والليـالي مـن حـولهـا تتحـطّم
في يـديهـا قيثـارة الـحب ثـملى
وصـداهـا همس الـربيـع المتيّم
قـد رآهـا العشـاق يـومـاً فقـالـوا
إنـهـا وحـي شـاعـر يتـجـسـم

* * *

صـورة أنت من قـديـم الـزمـان
رسمتـهـا مـدامـع الـحـرمـان
وشـعـاع الخـلود أضفـى عـليـهـا
رائـعـات الـظلال والألـوان
وجمـال الإغـريق نشْـج صبـاهـا
ولـهيـب الـصـحـراء يلتـقيـان
فتعـالي يـا وحي روحي تعـالـي
حـدثيني فـأنت وحـي الأغـاني

* * *

يـا إلهي فـجّـرْ ينـابيـع نفسي
هـي ذاتي خـلعـت فـني عـليـهـا
يـا إلهي ضمـخ بعـطر صبـاهـا
نـغمـاتـي واحفظ سـنـا عيـنيـهـا

يـا إلهي وامسـح دمـوع الـرزايـا
عن جبيني المعصـوب في شفتيهـا
واعمـرِ القلب بـالـعـفـاف فـإني
لـم أغـرد في الـحب إلا إلـيـهـا

يـا شعـرهـا الأحمـر ! يـا وردة
أرِّق لـيـلي عـطرهـا الأحـمـر
قـلبـي شـراع حـائـر واجـف
يـهـوى بـه شـلالـك المسكـر
شـلال ضـوء في ضلوع الـدجى
يجـري وفي قلب الـدجى يهـدر
أطبقت أجفـاني وأين الـكـرى
وأنـت في أعـمـاقـهـا تـسـهـر
يـا شعـرهـا الأحمـر ! يـا وردة
أرِّق لـيـلي عـطرهـا الأحـمـر

* * *

نـار مجـوس الشـرق مـشبـوبـة
فـيـك وعبّـاد الـلظى كـبـروا
لن يـدخـل المعبـد هـذا الفتى
مـا لـم يبـارحـه الألى كـفـروا
جـاءك مـن دنيـا بـهـا يكـتـوي
الـشـعـر والـشـاعـر والـمـزهـر
مـن عـالـم آفـاقـه قـمـقـم
الـروح فـيـه جـثـة تـقـبـر
يـا شعـرهـا الأحمـر ! يـا وردة

أرَّق ليلي عطرها الأحمر

* * *

الناس ! ما الناس وما حبهم
إلا دم يردي ولا يسكر
دم ولحم أزرق باهت
منه الخطايا في غد تثأر
وحبنا ! ما حبنا ! كوكب
في القفر يستهدي به المصحر
نهير عطر في صحارى الهوى
ذابت على شطآنه الأعصر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أرَّق ليلي عطرها الأحمر

* * *

يا مرقص النيران يا ديمة
القفر من أنفاسها مزهر
ويا بريقاً عوذته الرقى
على عصا مسحورة تسحر
لن يحرق الشاعر هذا اللظى
وأنت في قلب الدجى مضمر
فالحب في دنياه دين به
يتحد الناظر والمنظر
يا شعرها الأحمر ! يا وردة
أرَّق ليلي عطرها الأحمر

في البـرعم الغـافي وفي الهـدب المبلل بـالـدمـوع
في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع
روحـي تـفـر ـ إلـيـك ـ مـنـي
ثـمـلى يـجـنـحـهـا الـتـمـنـي
وإذا أفـقـت وأنـت عـنّـي
فـي مـعـزل وأنـا بـسـجـنـي
رجـعـت إلـيَّ تـقـول : غـنِّ
مـا زلت نشـوان الخـواطـر تـائهـاً
في الـوهم أضرب كـالفـراش الحـائـر
مـاضيً يجـذبني إلـيـك بـلهـفـة
ويكـاد في عينيك يشعـل حـاضـري
ويـهـز فـي أعـمـاق روحـي صـورة
هي سـر أحـلامي وفـرحـة خـاطـري
لـولا سنـاهـا مـا عـرفت حقيقتي
ونشيـد إنشـادي وكنـه مشـاعـري

* * *

حينـاً أرى روحـاً كـروحـك في البهـاء وفي البـريق
فتهيم أحـلامي بهـا وبـوجـههـا الصـافي الـعمـيق
ومـا تـكـاد تـغـيـب عـنـي

فـي لـيـل أوهـامـي وظـنّـي
حـتى يـعـاودني الـتـمـني
يـنـتـاش مـا أبـقيـت مـنـي
فـأصيـح من أعـمـاق سجني
حـيـنـاً وآونـة أغـنـي
مـا زلـت أحلم بـالـلقـاء ولا يـني
روحـي يـرف لكـل طـيـف عـابـر
كم يقـظة لي في الـهـوى بـددتهـا
في زهـد صـوفيّ وعـفـة شـاعـر
فـكـأنني أحببـت حـلمـاً ظـامئـاً
وسـدتـه وَغـذوتـه مـن خـاطـري
حـتى إذا راجـعت أمـسي لـم أجـد
إلا بـقـايـا دمـعـي الـمـتـنـاثـر

* * *

عينــاك كــالليــل مــاذا في ســوادهمــا
عــوالــم مـن أســاطـيــر ومــن رجــم
ذبـحـت قـلبـي عـلى أهـدابهـا فــإذا
بــالقلب يسخــر في عبنيــك مـن ألمـي

* * *

عـينــاك عــاصـفــة هبـت ومــا تــركت
على صبــاي ســوى طـيف مـن السـقم
طـيف إذا اكـتـحلت عـيـني بــرؤيـتـه
تــرغــرغ الــدمــع فـي عـينـيّ مـن ألـم
ورحــت أصــرخ فـي نــومــي أســائـله
عن الصبـا وعن المـاضي وعن نعمي
وعـن غــرام لنــا فـي أوجــه انـتـشـرت
أزهــاره واسـتــقــرت روحــه بــدمــي
روح كــوســوســة الشيــطان تــدفـعنـي
إلى الخــطيئــة أبلوهــا إلى الـعــدم
هــذا الشحــوب على جفنيّ يشهــدكـم
مـن ليـلة خبــطت عينــاي فـي الــظلم
وكــم مــآتـم أشــواق شــربــت بــهــا
حتـى الـثـمــالــة أقــداحـي ولـم أنـــم
أدعــوك والـظلمــة الصفـراء تعصف بي

وفي دمي ثورة من عصفها النهم
وفي رؤاي تهاويل مخبلة
تجتاح أضلعي التعبى كمنتقم
حتى الجمادات قد دبت بأعظمها
بقية من لهيب الظلمة الضرم
فهذه الشمعة الوسنى على دمها
نامت موسّدة في حضنها حلمي
والفجر يرمقني من خدره حذراً
كأنه توبة أو لعنة الندم

* * *

عيناك مقبرة في صمتها نسجت
عناكب اليأس أكفاناً من الظلم
هذا العفاف الذي قد تدّعين به
كان الطريق إلى موتي وملتهمي
لم يبق فيّ سوى جسم تهدمه
معاول اليأس واللذات والندم
ونغمة كلما مرت على شفة
باتت تسائلها عن عالم الرمم

هبوباً هبوباً لعلي أطير
لعليَ أنسى هواها المرير
لعليَ أنسى صباح الهوى
وخضر العيون وليل القبور
لعليَ أنسى زماني الشقي
ويبرح روحي مكاني الوعير
وكيف أطير وأنت الجناح
وأنت الخفوق وأنت الغدير؟
وحبي السجين أضاء السماء
وحبي المرير غرامي الأخير؟
فلا تسألي في الهوى من أكون؟
ولا تسألي في الهوى ما المصير؟
أأبكي وفي قبضتيَّ اليراع
يخيف الظلام ويدمي السطور
وفي شفتيَّ هدير الحياة
وفي مسمعيك بقايا الهدير؟

* * *

سأضحك يا ليل حتى أموت
وحتى يموت هواها المرير

حلم

حلم تثاءب في رؤى يقظاتي
وتثاءبت في صحوه سبحاتي
حلم يخيل لي بأن ظلاله
كانت إلى الأمس القريب حياتي
حلم أعاد إلى فؤادي شوقه
وأعاد لي ما مر من سنوات
أيام كنت من الوداعة لاهياً
أبكي وأضحك ساذج النزوات
سكران من خمر الطفولة والهوى
لا أرتضي أحداً يضم فتاتي
ألهو وألثم ما أشاء شفاهها
وأصونها إن شئت عن قبلاتي
وأضم أمي إن غفوت معللاً
نفسي بحلم ـ لا محالة ـ آتٍ
وإذا الصباح أطل من محرابه
وصحا الشذا في برعم الزهرات
ألفيتني طيراً تسارق روحه
قيثارة مبهورة النغمات
أعدو مع الشمس الوضيئة في الضحى
والكون قلبي والسنا بسماتي

وعلى ضفـاف النهـر أقبـع حـالمـاً
وفـمـي يـردد مـا تـقـدس ذاتـي :
يـا نهـر يـا سـر الحيـاة وروحهـا
هـلا استمعت لصـرختي وشكـاتي ؟

* * *

إنـي أتيتـك يـافعـاً وغـداً تـرى
وجهي مـيـاهـك ذابـل القـسمـات
تـعلو شـفـاهي نـغمـة مـجـروحـة
نـفض الـردى في طيِّهـا صـبـواتي
وغـداً ستنسى من لثمتُ شـفـاهها
حبي وتـنسى في الـهـوى عبـراتـي
وغـداً سـينـسـاني الـذين بكـيتـهم
بـدمـوع قلبي أو خـشـوع صـلاتي
وغـداً أرى أهـلي الـذين ألـفتـهم
تـرمـي بـهـم كـف الـردى لـفـلاةٍ
ربـداء تعـوي الـريح في ظلمـاتها
وتـداس فـيـهـا حـرمـة الأمـوات
وأرى الـتـي أحـبـبـتـهـا ووليـدها
يـتنـاغيـان بنـاعـم الهـمسـات :
من ذلك الشبح الشقي وما اسمه ؟
وعـلام يـهـرب زائـغ الـنظرات ؟
حلمي الشقي يكـاد ـ رغم شحوبه ـ

أن ينجلي ويهيم في الظلمات

ليرى التي قتلت شبابي عنوة

ومضت ولم تسمع صدى صرخاتي

يـا سنـا الله بصحــراء انتـظاري يـا هــواهــا
أنـت فجــر رائــع الألــوان إن لـيـلي تـنــاهـى
وجــراح قبسـت من لـمعــة الـنصــل سـنــاهــا
الليـالي الســود لم تـدرك ـ وإن طـالت ـ مـداهـا

* * *

من تراها ؟
أنــا لا أعــرف ويــحــي مــن تــراهــا ؟
همست في مـطلع الفجـر وقـد ضـاع صــداهـا
أيهــا الفجــر الـذي ذابت بــه ، أيـن أراهــا ؟
أنــا سـهــران وفي عـيني لهـيـب من جــواهــا
وعـلى ثغــري بـقــايـا رشفــات مـن لـمــاهــا
وبــقــايــا حــلم أوغــل فــي الــنــور وتــاهــا

* * *

من تراها ؟
أنــا لا أعــرف ؟ ويــحــي مــن تــراهــا ؟
همست في مــطلع الفجـر وقــد ضـاع صــداهـا

* * *

أيهـا الغـاب الـذي مـرت بــه أين شـذاهــا ؟
مـا لأزهـارك هـل أخفت عن الـزهـر أسـاهـا ؟
التــلال الشهــل والأنســام تـبكـي وهــواهــا
صــامت يبكي وقــد يبكي انـتظاري لــو رآهــا

ضجر

قلب وراء الليل ينتظرُ
فمتى يريق ضياءه السحر؟
ضاق الفضاء كأن عاصفة
مكتومة في الغيب تنفجر
وكأنما الظلماء مقبرة
يسطو على أشجارها الضجر
تمتص ضوء النجم ظامئة
وينوح في أحشائها الحجر

* * *

وكأنما الأشجار قافلة
شردت وفي أجفانها حلم:
أوراء هذا الليل موقدها
متأجج النيران مضطرم؟
أم في كهوف الموت يقضمها
جان يمزق قلبه الندم؟
أم تنزوي في خدر ناعمة
حولاء يسجد دونها صنم؟

* * *

ما للفضاء يضيق بي وعلى
أجوازه أحرقت أجنحتي
وعلى غدائر ليله اضطجعتْ

أحلامي الموتى ومقبرتي
وتباكت الأغوار وانتحبت
في صمته الثلجي عاصفتي
واليأس والموت البطيء على
أظفاره ينتاش أخيلتي ؟

* * *

والليل ما لليل ينطبق
ويغيب في تابوته الأفق
وتدمدم الأرياح عاوية
في قلبه الخاوي وتنطلق ؟
ويدي على التابوت باردة
وعلى جبيني ينضح العرق
والنجم مصباح به عبثت
أيدي الملال وغاله الأرق

* * *

فيم انتظاري دون ما حلم
وغدي إلى الأحلام يفتقر
وتلفتي والأفق مضطرم
دامٍ يموت وراءه السحر ؟
وقبور مأساتي مفتحة
يعوي على أكفانها القدر
نفضت قيود الأمس وانتبذت
ركناً قصياً فيه تنتظر

بغداد

« بغداد » يا أغرودة المنتهى
ويا عروس الأعصر الخاليه
الليل في عينيك مستيقظ
وأنت في مهد الهوى غافيه
زوارق الأحلام في سجوه
سكرى ترود الضفة الساجيه
والحور والصفصاف لم يهجعا
إلا على أقدامك العاريه
يحتضنان الصمت في قبلة
عذرية مشبوبة سابيه
والبلبل الليلي في شدوه
أيقظ حتى الدوحة الذاويه
فارتعشت أوراقها لهفة
إليك وانسابت مع الساقيه
و« دجلة » العاشق ترنيمة
تشدو بها أنسامك الساريه
القمر الضاحك في حضنه
زنبقة فضية طافيه
على سناه تستحم الرؤى
والخمر والندمان والفاغيه

*

بغداد في حبك أهل الهوى
ماتوا ! وأنت الطفلة الباقيه
قلب النواسيِّ الذي أسكرتْ
أشعاره أهدابك الساهيه
أقداحه لمّا تزل في الثرى
تحلم في بعث الهوى ثانيه
والمعبد الشعري لمّا تزل
أبوابه مهجورة كابيه
يذوي ربيع الفكر في ظلها
وتنطوي أعراسه الزاهيه
وتلتقي الأضداد في ضحكة
مجنونة أصداؤها قافيه

* * *

بغداد هذي دمعتي في الهوى
وما دموعي غير أشعاريه
ذوبتُ فيها ذكرياتي التي
كانت بليل الحب مصباحيه
وأمنيات غضة لم تزل
أنفاسها في عزلتي ذاكيه
بغداد إني ظامىء للهوى
فمطري بالحب أجوائيه
موجتك العذراء تجري لمن
ومهجتي محروبة صاديه ؟

إن كان للصحراء تجري ففي

عينيك صحراء الهوى ثاويه

وحولها الفكر بلا مأمل

يحلم في واحاته النائيه

* * *

بغداد يا أغرودة المنتهى

ويا عروس الأعصر الخاليه

الليل في عينيك مستيقظ

وأنت في مهد الهوى غافيه

إلى ساهـرة

على شاطىء الوهم نامي
كمقبـرة فـي الثلوج
ولا تسألي عن غرامـي
ولا تسألي من يعوج
على طلل دارس
أعـــاد الحـبيـب ؟
ففي صمته العابس
أمـــان تـــذوب
قـبيـــل الـغـــروب

* * *

ولا تسألي النجم عن موطني
فمـــا موطنـي
غير هـذا الفضـــاء
ولا تذكريني ولا تحزني
إذا مـا سـمـعـت
ريـــاح الـمـــاء
تـولـول بين الشجـر
فتوقظ حتى الحجر

*

ولا تسألي من أنا
ولا تندبي حظنا
فما أنا إلا كهذا الجناح
جناح شريد
بكته على الأرض حتى الجراح
يسائل أيامه عن غد
ويروي إلى الليل حلماً جديد
ويصغي وما من معيد
لهذا النشيد

* * *

ولا تجهشي بالبكاء
إذا ما السماء
أهالت عليك
رماد الرجوم
ففي مقلتيك
ضياء النجوم
يقود خطاي .. ويمحو أساي
ويحفر قبري بواد الجنون
ويوغر صدري بشتى الظنون

* * *

وإما استفاق هواك الصبي
فلا ترضعيه دموع الوداع

ولا تـفـجـعـيـه كحبي المضـاع

أخـاف عليـك وَمِـمَ أخـاف ؟
وفـي شفـتيـك رحـيق زعـاف
أحس به في دمي كجـوع رهيـب
وأنفثـه من فمي غـنـاء رتـيـب

* * *

فديتك لا تسهري
وإن كان هذا السهر
تغلغل في محجري
فأرق حتى الحجر
وغنى به العاشقون
فلم يبق في مهجتي
ضياء به يبصرون
غرامك
في لوعتي

أنا يا رماد

أنـا يـا رمـاد بـقـيّـة   من نـارهـا فخـذ البقيّـه
هـل بعـد أن داس الخـريـ   ـف زنـابقي تبكـي عليّـه
وتـحـور أشـواقـي دمـاً   متـوهجـاً في أصغـريّـه
أُسـقـاه أوهـامـاً فـلا   أسقى سـوى خمـر المنيّـه
فـأمـوت كـل هنيـهـة   وأعـود للدنيـا الشقيّـه
لا خـل يـفـهـمـنـي ولا   تصغـي رؤى نفسي إليّـه
لا شـيء إلا واحـة   خضـراء في حلك العشيّـه
الأفـق يـحـجـبـهـا فـلا   تبـدو سـوى عين بكيّـه
شـرب الـرمـاد دمـوعهـا   فـتـنـهـدت تلك الـبـقـيّـه

و « شتراوس » يصغي وراء الظلام
ومعزفه منصت مطرق
تسائل عيناه من هذه
فيجهش « دانوبه الأزرق »
حنوناً كأنفاس حورية
طيوب الربيع به تعبق
كمرثاة حب بُعَيْد الشباب
يغني بها عاشق مخفق
كنار تئز . . . كبحر هفا
وغاب بأحضانه زورق
كغاب من العطر أغفت به
رياحينه وغفا الزنبق
وتغمض والدمع في موقها
عصارة قلب به تعلق
تسائل معزفه والصدى
يولول واللحن مغرورق
فيهتف في لوعة من أنا ؟
ومن - يا رؤى يقظتي - أعشق ؟
أأعشق ناراً وأين اللظى ؟
فإني إلى لذعه شيق

أقضي نهاري وأسهر ليلي
وفي خاطري هاجس مقلق
وفي ساعديّ أضم الفراغ
وأحنو عليه ولا يشفق
كأن الثوانيَ دهر طويل
يقيدها الزمن الأخرق
ويسحقها سأم ظامئ
على مهجتي ليله مطبق

* * *

وأنت خيال يذوب رويداً
على معزف نابض يخفق
تمر عليه كلمس الندى
يداك فينطق ما ينطق

* * *

تنادينني من ظلام البكاء
بلحن به كنت أستغرق
بلحن به كنت أبكي الحياة
فيفتح لي بابها المغلق
وتصحو على رجعه الذكريات
ويدلف من خدره المشرق
تنادينني وآلتماع البروق
بضيء السحاب فلا أبرق
أماتت مناي وكانت ضحى

تغني وهل خانني المنطق ؟
وهل معزفي هجرته اللحون
وبارحه سره المحرق ؟

* * *

فيا فتنة أيقظت خامداً
من النار في وتري تشهق
ويا كوكباً من ظلام البكاء
يطالعني وجهه المشرق
شواطىء أحلاميَ المقفرات
يناديك زورقها المغرق
تميل به الريح أنَّى تشاء
وأنَّى يشاء له المفرق
فلا هي تدري متى يستكين
ولا هو يدري متى تشفق

* * *

ويا أخت من سفعته الجواء
وأنكره الأفق الضيق
لئن رق معزفك المستبد
فحبيَ من لحنه أعمق

قولي له

ماذا أقول له إذا ما عاد يوماً يسأل
أين التي بالأمس كانت كالفراشة ترفل
بجناحها الذهبي في زهر الحقول وتقبل
إن جنها ليلي وهبت حولي كوخي الشمال
قولي له جف الغدير
قولي له مات العبير

* * *

وإذا تساءل والرياح تئن في الأفق العنيد
والكوخ يخفق في ظلام الليل كالشك المبيد
ما لي أرى المصباح تخنقه يد البرد الشديد
والحقل قفراً والذئاب تجوس في الوادي البعيد
قولي له مات الربيع
قولي له رحل الجميع

* * *

وإذا تساءل والضباب يلف أشباح القبورِ
وتفرست عيناه في وجهي وغلغل في ضميري
هل كنت تنتظرين يوماً عودة الحب النضير
وهل ابتسمت إلى ملاك الموت في النفس الأخير

قولي له ابتسمت وماتت
قولي له في الليل ذابت

وإذا انتظرت ولم يعد ومضت بي الأعوام تترى
والحقل أمرع مزهراً والطير في الآفاق مرّا
ووقفت يوماً أندب الماضي على الأطلال عبرى
ماذا أقول إذا لمحت على تراب القبر زهرا
قولي هنا في الصمت نامت
محرومة بالوهم عاشت

« ليلى » أحس على فمي شفة
صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناح خفاش يطير على
قبري فيملأ بالرؤى حلمي
وأرى يداً سوداء تصفعني
وتشد شعري شدّ منتقم
وأرى غطاء القبر منتفخاً
وجحافل الديدان كالظلم

* * *

وأرى عيوناً كلما اختلجت
أهدابها رفت على غسق
الريح معولة كأن صدى
إعوالها ما زال في الأفق
وأنا وأحلامي وملهمتي
والحب حول الموقد الحنق
وذوائب النيران راقصة
في جوفه وسنانة الحدق

* * *

نتلو عليها وهي حالمة
أقصوصة أبطالها قتلوا
كانوا على قلع فداهمهم

جوّ مطير عاصف هطل
فتحطم القلع الصغير ولم
ينج الذين إلى المدى رحلوا
فتجود عيناها بلؤلؤة
وعلى فمي تتهافت القبل

* * *

وبلحظة ما زلت أذكرها
وعويلها ما زال في أذني
هملت عيون الليل وانتحرت
بيض النجوم على فم الدجن
فتبسمت ليلى وما ابتسمت
إلا لتحبس دمعة الحزن
لكنها انحدرت لتقتلني
وتضيء للديدان في كفني

* * *

والنور يعكس ظلها قلقاً
فأكاد أسرق ذلك الظلا
عبرى تقول أكنت في خدر
أم كنت في حلم وقد ولّى
ما لي أراك صغرت في نظري
لما اغتضبت من الهوى قبلا
وشحبت حتى لم تعد حلماً

هلا أعدت رسائلي هلاّ

* * *

ما زلت أذكر موقفي وأنا
في ظلها متلطف غزل
ما زلت أذكر ليلة هربت
روحي وتبقى وهي تشتعل
ما زلت أذكر دمعها هملاً
وشفاهها تطفو بها القبل
والريح ماطرة وملهمتي
تخفي رسائلها وترتحل

* * *

والعدوة السوداء والقمر
ما زال يسخر مني القمر
والنهر يفتح صدره حدباً
ويضمني في صدره النهر
والموج يفهق هاصراً رئتي
حتى تراقص وهي تنفجر

* * *

والريح تهمس وهي عابرة :
ظل على المرآة ينتحر
ما زلت أذكر لحظة هربت

وتجمدت في مطرح الزمن
ما زلت أذكر والربيع على
قبري يحوك الورد من كفني
كفاً مشوهة وساحرة
شمطاء تغسل باللظى بدني
ويداً تدحرجني إلى نفق
خاو فتصفعني يد العفن

* * *

« ليلى » أحس على فمي شفة
صفراء تصبغ بالدماء فمي
وجناح خفاش يطير على
قبري فيملأ بالرؤى حلمي
وأرى غطاء القبر منتفخاً
وجحافل الديدان كالظلم
وأرى يداً سوداء تصفعني
وتشد شعري شد منتقم !

من صارخ الألوان من أدمع النيران
سويت يا شيطان أبدع مما كان
تمثالك العاري

* * *

منحته ... الوجدان وهبته النسيان
سميته الإنسان وقلت هذا كان
بالأمس خماري

* * *

سماؤه عينان وأرضه نهدان
في قلبه جرحان الشك والإيمان
ومخلب ضاري

* * *

يهم بالعصيان فيحرق الصلبان
ويطلب الغفران وينشد السلوان
بالسجن والعار

* * *

عبد إلى السلطان أربابه عبدان
الذل والعدوان ألهمْه في ألحان
أغنية النار

أحبك

« أحبك » قوليها فلست مصدقاً
إذا لم تقوليها وإن صدق الناس
بعينيك منها بعض شيء أحسه
يضيء بأعماقي فيطفئه الياس
« أحبك » سر لا أعي كنه ذاته
تحير منه الخمر وانتحب الكاس
وحار به قلبي وحارت به المنى
وضاق بنجوى صمته المر إحساس

* * *

حنانيك قوليها ! حنانيك أفصحي
فليس إذا أفصحت عن سرها باس
ولا تتركي زهري على النبع ظامئاً
يجف ويذوي حول ينبوعك الآس
فأنت على صحراء عمريَ كوكب
وأنت على آفاقي البكر نبراس
وأنت هوىً لو لم يكن لوجدته
وإن بقيت في هيكل الحب أنفاس

هـذا العبيـر الآلهي نشقتـه
بالأمس وحدي من خمائل شعرها
سحب مـدمّاة يبـددهـا اللظى
فتذوب في الأفق المشع بثغرها
وتضوع منها الذكريـات ويرتمي
رأس الربيع على وسادة صدرها
وشـذاً لـه طعم الـدماء أحسـه
في الجو يحبو من غلالة نحرها
هذي الغلالة يا عطور تذكري
من أدمعي حيكت بـظلمة خـدرهـا
في كل خيط قصة عبثت بها
أيدي الرواة وأمعنت في بترها

* * *

المعبـد المهجـور يشهـد أنني
أودعت ما أملى الوفاء بسطرها
أبـوسعهـا قتلي وأرديـة الهـوى
مصبوغة ـ وعلى فمي ـ من خمرها
والأمس قربان الصبابة شـاخص
للكوخ ، للأفق البعيد ، لقصرها

*

يا عطرها المسحور فيك قساوة
هي بعض ما تركت قساوة هجرها
جففت أعناب الشباب فما الذي
أبقيت لي إلا ثمالة غدرها
أعراقها اشتفت عصارة ميت
قتلته في عرى الجمال بعطرها
ماذا على المفجوع إن وأد الهوى
واعتاض عن حلو الحياة بمرّها ؟
والتفّ في بُرد الرعاة مشيعاً
هذي الخراف الجائعات لقبرها
وذوى كما يذوي البنفسج في الضحى
والأرض معطار تميس بزهرها

* * *

هبطت بصحرائي فقلت حمامة
عادت مع الليل الحزين لوكرها
حتى إذا علمتها لغة الهوى
وأغنت ملهوف الحنين بصدرها
طارت بأجنحة السراب وخلفت
صحرائي الظمأى تلوب بأسرها

ألهو بحزني

وإذا الغَداة سألت عنّي   فسلي هزار الروض عنّي
وسلي أقاصيص الصبا المنغوم في وتر المغني
لترى عيونك صائد الأوهام كيف اقتصّ مني
ميت بمقبرة الهوى الميؤوس ظل بغير دفن
لا الحزن يؤسره ولا الإغراق في الضحك المجنّ
فجأ المنى فأماتها والتف في كفن التمني
وأطال إطراقاً على جرح وراء الحسّ مُفنِ

* * *

عبثاً تنادين الهوى   فأنا إلى الموتى أغني
في وحدتي يلهو الأسى   وبوحدتي ألهو بحزني!

يا ضريحاً عرائس الفجر تبكي
وصبـايا ليـل الـربيـع عليـه
ويميل الصفصاف للنبع مغمى
فيغطي الضـريح في خصلتيه
وتعـود الـطيـور غبّ الأمـاسي
نـائحـات مـولـولات إليـه
فـلذة من فـؤاد أم صـديـع
قبـرتهـا في مـأتم الحب فيه
وَحَثَتْ فـوقهـا التـراب فـوارت
تحت أطبـاقـه حشـا والـديـه

* * *

فلتنـوحي يـا ربـة الحب حتى
تبعثي الـدفء في رخام يـديه
وتعيـدي نجم الصبـاح سبـوحـاً
مثلمـا كان في سنـا مقلتيه
وإذا لم يفـق فخـليـه يغـفـو
فـإلـه الأحـلام جـاث لـديـه
وسمـالي القبـور تـطعم ورداً
قـطفتـه السعـلاة من وجنتيـه
فالحياة المخصاب أغضت حياء
حين جف الـرحيق في شفتيـه

« أين ماما ؟ » وأطرق المهد يبكي
والأزاهـيـر والنـجـوم عـليـه
وسجت صيحة السماء وطنت
حشرجات السكون في أذنيـه !

* * *

يا حديث السمار موتك بعث
لعبة الموت حررت ساعـديـه
نم بقلبي مـرثيـة . . . لغـرام
مـات قبل الصبـاح في ضفتيه

ظمآن

ظمآن للألوان والعطر وللغرام العاصف المر

لخمرة يصرعني وهمها لغير ما في الخمر من سكر

إلى أبٍ حانٍ وأم لها أبث همي دون ما عسر

لقبلة مشبوبة نارها تحرق ما يلمسه ثغري

لمنصت أفضي له مسهباً ما لست أدريه وما أدري

لضحكة مجنونة أرتمي من بعدها ميتاً من الذعر

ظمآن للريّ وما حيلتي والجدب عقبى حبي العذري

سيزيف قد كان ولم يزل يهمّ بالشكوى ولا يحري

ترمقه عن كثبٍ حسرة غوارب الأمواج في البحر

والنجم من عليائه ساخراً يرمقه بالنظر الشزر

وهو على صخرته منحنٍ تهوي به من قمة الدهر

* * *

ظمآن للموت وما ضرني إن متّ مطوياً على سرّي ؟

نامت عيون النجم واستمتع الليل
نم يا حبيبي نم يغمرك الظَّل
والطيب والطلّ
جنية الأحلام عادت من الغابه
تهدي إلى من نام حلوى وشبّابه
جنية الغابه
صديقك البلبل على حنيني نام
فلِمْ ترى تعول ودونك الأحلام
حياتنا أوهام
أبوك في الوادي يصارع التنين
خنجره الصادي ملطخ بالطين
أبوك والتنين
والريح في الغصن تعبث في حسره
هذا الشذا مني وأنت لي زهره
على فمي زفره
نامت عيون النجم

مصرع بلبل

قالوا الهوى زهره تخلبه نظره
عبيره خالد ما بقيت زهره
فأين ذاك الهوى من هذه الزهره

* * *

في قفص من ذهب موحش
أسرت هذا البلبل الملهما
ولم يزل يرسف في قيده
حتى استساغ القيد واستسلما
وأي ضير من ظلام الهوى
إن أيقظت أصفاده النوما !
وأي ميت راودته المنى
ولم يفق من قبره مغرما ؟
فكيف بالبلبل إن شفه
ـ ودونه الجدول ـ برح الظما !
وهل قيود السجن مستطيعة
أن تحرم البلبل أن يحلما ؟
ساهرك الليل وغنى به
فأرق الأنسام والأنجما
وأنت في خدرك مأخوذة

وربما مفتونة ربما
عيناك في الأفق كأحلامها
سما بها المجهول فيما سما
كأنها ترنو إلى كوكب
يضيء قلب المخدع المظلما
والبلبل العاشق يشدو وما
في شدوه إلا عبير الدما
إن التي أطعمها قلبه
هامت بنجم من نجوم السما

* * *

يا للهوى ماتت أغاريده
ولم يزل في غصنه برعما
« ماتت » ولما يبكه طائر
وهو الذي كان لها ملهما
ماتت وكف الحب في سجنه
تمد من عليائها سلّما
غداً سينزو فوقه صاعداً
ليطفىء النجم الذي هوّما
وأنتَ لو خيِّرت في الحب لم
ترض بحب كان لي مأتما
فلتسكتن ! فالسجن قد حُطِّمت
أبوابه والقيد قد حُطِّما

*

كقطرة من دم جفت على صخره
ماتت عهود الهوى من غير ما حسره
يا ذكرياتي هنا خُطّي هنا قبره

يا إلهي

يا إلهي قضاؤك - العدل - يجري
أتراه على الورى أم عليّا
خبزك المشتهى وخمرك سالت
قطرة من دم على شفتيا
فاض من عطفك الحنان فهلاّ
ليَ أبقيت من حنانك شيّا ؟
عن مغاني الهوى نفيت فؤادي
فلمن بعد نفيه عنك يحيا ؟
أين عيناك يا إله الليالي
لتصب النعاس في مقلتيّا
قبّة الليل صدعت من أنيني
أتراها وعت وجودي الشقيّا ؟
كيف أرقى لعرشك المتعالي
أبسكر الصلاة أم بالحُميّا ؟
أيموت المحب يأساً ويدنو
منك من يعشق التراب الغويّا ؟

* * *

يا إلهي نسيتني أفترضى
أن يواري النسيان عبدك حيّا ؟

لا تـذكـريـه ربـمـا أهـدى إلى عيني الأرق
وربـمـا أصـواتـنـا تحملهـا ريـح الغسق
لـه فيبكي حبـه المنسي ، وربما اخترق
بحسـه المـاضي ومـا في صـدره من الحـرق
مـاذا عـلى القلب إذا بـحب غـيـره خـفق ؟
نـافـذة كـنـت لـه منهـا رأى ضـوء الشفق
رأى أسـاريـر الضحى وفـيـه لا فيّ احـتـرق
وكـنـت مـرقـاة لـه لـه إلـى ذاك الألـق
خـذي اقـرئي أشعـاره إنـي منهـا في غـرق
أحس فـيـهـا ولـهـاً بـالنـور لا فيمن عشق
وهـل يـظن الـوردة العـذراء تزكـو بـالعبق
والنحـل في مـرقصهـا يـهفـو لـهـا لا للورق

* * *

إيــه يـا خـاتم «الخـطوبـة» حـدِّث
ذلك الطيف عن غرامي الحزين
حـدث النجم ربمـا تـتـلاقى
في سنـا النجـم عينـه بعيـوني
حـدث الـذكـريـات فهي عـزائي
وبها كـل صبـوتي وفتـوني
حـدث الفجـر ، قـل لـه إن ليلى
أطفأت شعلة الصبا في يميني

حدّث العاشقين طراً بأني
لم أدعها ولم أكن بالخؤون
لم أكن غير رائد من بلاد
طمس الحب أهلها بالظنون
بالنضار المعبود بالدم يجري
تحت فردوس غاصب مأفون
قل لليلى وأين تسمع ليلى
والضحى دونها وليليَ دوني
قل لها دمعة الإباء ستحيي
ميت الحلم في جفون السجين
ذلك النجم قل لها سوف يخبو
نوره ذات ليلة أو حين
فتعودين قطرة من عبير
في أباريق شاعر مجنون
لرعاع السماء تسقين خمراً
وتعودين عشية للحزون

* * *

كيف يا خاتم الخطوبة أخفت
عنك حبي وحيرتي وشجوني
ولظى ثغرها هتاف بروحي
وجراح على فمي وجبيني
ألأني عبد كباقي السبايا
بدموع العبيد أرهق طيني

القضاء البهيم والموت حظي
إن بصقت على الأولى أرهقوني
والورود التي على نعش حبي
أرضعت من دماء قلبي الطعين
سوف تمسي إكليل حب مريض
وفراشاً لعاهر وهجين
أبوسعِ السجون قبرك حياً
أيها الحب هل بوسع السجون ؟
سأنادي من ظلمتي سأنادي
كل نجم يخبو وكل .. دفين
وأذرّ الرماد في وجه حبي
فغرامي على الثرى مات دوني
وأغني على ضريح الخطايا
« للضياء البنفسجي الحزين »
لسبايا الحب الطريد لنفسي
لصباحي الطريد بل لجنوني

* * *

أختاه ريح عابر ينفخ في ناي القصب
في غابة سوداء لا يحكمها إلا الذهب
المال فيها خالقُ الناس وإن كانوا خشب
فكيف لا أذكره وهو عن الغاب هرب
ذبالةٌ مذعورةٌ الزيت فيها قد نضب
مرّ بها الرعيان في الليل وقد داسوا اللهب
نوافذٌ مغلقة تثير في نفسي العجب

أمات رب الدار أم من برجها العالي وثب؟
ما زال يهواك وإن مع الأعاصير ذهب
خياله يطفو على جفني وإن عنك احتجب
إلهه المقتول في كفيه قيثار خشب

وما ذلك الحالم المنزوي
بصومعة الفكر إلا خيال
يحس بصوت الحياة البغيض
يناديه في قسوة أن تعال
فيمعن في حلمه ساخراً
بأطيافها الشاحبين الثقال
بمهزلة قيل عنها الشروق !
بأفكوهة قيل عنها الزوال !

* * *

لياليه فجر ومن صمتها
يحوك الأغاني .. أغاني الغزل
ويحيا على قبل من خيال
ويثمل منها كأشهى القبل
وأحداقه في الهزيع الأخير
ترى ما يراه بضوء الطفل
وتخترق الغيب والمنتأى
بأجنحة من لهيب الأمل

* * *

وإن رقص الفجر بين التلال
ومرت يداه على الصومعة
وهوّمت الأعين الساهرات
على وقع أقدامك الموجعة

وردَدت الأرض يا شاعري
علام الركون لهذي الدعة
تعال مع الريح بين التلال
تعال مع الموت والزوبعة

* * *

تعال نُشيد بأحلامنا
على شاطىء الحب كوخاً جميل
نوافذه من دموع الضحى
وأستاره من لهاث الأصيل
وموقده قبلٌ يصطلي
علينا ملاك هوانا النبيل
فننسى الوشاة وما أرجفوا
علينا وننسى التراب الذليل

* * *

ألا من سبيل ؟ ألا من خدين ؟
يقود خطاي لكوخي البعيد
أأقضي وهذا القطيع البليد
سيدفنني في ثراه البليد
ويبكي عليّ ببضع سطور
مشوهة كأغاني العبيد
ويسلم فكري وإبداعه
إلى جدث بارد من جليد

وفي الجزر النائيات التي
تلوذ بها آلهات البحر
ويكتنف الليل غاباتها
ويحجب عنها ضياء القمر
سيسمع ألحاني الصائدون
تغني بها الريح بين الشجر
فتخشع أبصارهم هيبة
لروح خفي أهاج الذكر

* * *

وفي واحة الحب حول القليب
وتحت ظلال النخيل الحزين
سيسمع أصداءها العاكفون
على وحشة البيد والذاهلون
فتهمس «ليلى» إلى «قيسها»
ألا في الهوى كل شيء يهون ؟
ويبكي السراب على شاعر
وراء السراب أطال الحنين

* * *

وفي ظلمات الخريف الكئيب
وحول لهيب الشتاء الطويل
سيقرأ ديوانيَ الحالمون
وينشد شعري هزار الحقول
فيهتف في سره عاشق
ألا ليتني مثل هذا أقول

وأما التي في ثلوج الهوى
فتسأل حيرى وماذا تقول !

نهاية

أنا والزمان سنلتقي
في ذلك الدير البعيد
حيث العيون الظامئات إلى الجديد
تبكي وتسأل كيف مات تشوقي ؟
فأعود أرسم في الجدار خيالها
وأعود أمحوه
وأرسم من جديد
ظل المحال وأستعيد
وهناك حيث الهاربون من القيود
سأظل أحفر في رماد تحرقي
حتى أموت
وأعود أرسم في الجدار خيالها
فإذا الجدار هوى سأرجع كالشريد
ومعي الزمان
وحبها
لنموت في الدير البعيد

أباريق مهشمة

الله والأفق المُنوّرُ والعبيد
يتحسسون قيودهم :
« شيّد مدائنك الغداة
بالقرب من بركان فيزوفٍ ، ولا تقنع
بما دون النجوم
وليُضرم الحب العنيف
في قلبك النيران والفرحَ العميق »
والبائعون نسورهم يتضورون
جوعاً وأشباه الرجال
عور العيون
في مفرق الطرق الجديدة حائرون :
« لا بدّ للخفاشِ
من ليل وإن طلع الصباح
والشاة تنسى وجه راعيها العجوز
وعلى أبيه الابن والخبز المبلل بالدموع
طعم الرماد له وعين من زجاج
في رأس قزم تنكر الضوء الطليق »
وأرامل يتبعن أشباه الرجال
تحت السماء ، بلا غد ، وبلا قيود
والله والأفق المنوّر والعبيد

يتحسسون قيودهم :

« نبع جديد !

نبع تفجر في موات حياتنا

نبع جديد

فليدفن الأموات موتاهم

وتكتسح السيول

هذي الأباريق القبيحة والطبول

ولتفتح الأبواب للشمس الوضيئة والربيع »

وصنعتُ محرقتي
وكان لظى
نيرانها رئتي وأعصابي
وربيعيَ المتوهج الخابي
ودفنت في أعماق ذاكرتي
فأسي وزوبعتي وأحطابي
وقبورَ أحبابي
وفتحت أبوابي
للنور والظلمات أبوابي
والتافهون وراء حائطنا
يرنون للموتى بإعجاب
وكلابهم تعوي وعالمُنا
يصحو على أصوات حطّابِ :
« يا أرضُ ميدي بالقبور فقد
أطعمتُ للفيران أعشابي »
وهشيمُ ألقاب
تهوي كأوراق الخريف على
أقدامه وحطامُ أنصابِ
والفأسُ ـ والنيران تأكلني ـ
تهوي وتهوي فوق أبوابي
مأساتنا ، كبش الفداء ـ هنا ـ

كنا ومحرقةً لأحطابِ
أما الذين وراء حائطنا
يرنون للموتى بإعجابِ
فقلوبهم جيفٌ معطَّرة
للبيع في حانوت قصّابِ
ناموا على أعتاب قاتلهم
يتثاءبون طوال أحقابِ
يا أيها الجبناءُ محرقتي
ربطتْ بأفقِ الشمس أسبابي

الملجأ العشرون

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال
وكوحشة المصدور في ليل السعال
كانت أغانينا وكنا هائمين بلا ظلال
مترقبينَ الليلَ أنباءَ البريد :
« الملجأ العشرون
ما زلنا بخير والعيال
ـ والقمل والموتى ـ يخصّون الأقارب بالسلام »
والذكرياتُ الفجّة الشوهاء تعبر والخيام
والريح والغد والظلام
كوجوهنا غبّ الرحيل :
« أماه ! ما زلنا بخير » والذئاب
تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد :
« يا إخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! ليلُ السعال
وبريدنا الباكي المعاد
لا شيء يُذكر لم تزل (يافا) وما زال الرفاق
تحت الجسور وفوق أعمدة الضياء
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراق
على حوائطها القديمة واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد

« من ههنا أماه ! أعواد المشانق والحريق
من ههنا بدأوا ونبدأ والطريق
وعرٌ طويل
لا عاشَ رعديدٌ ذليل »
(يافا) نعود غداً إليك مع الحصاد
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبّرات
والأمهـات
« الملجأ العشرون
ما زلنا بخير والعيال .
والإخوة المتشردون
من قبونا النائي يخصّون الأقارب بالسلام ».

ـ نامي !
وقبّل شعرها
ـ أختاه نامي !
بيني وبين سمائك الزرقاءِ
أجيال من البؤساءِ
نامي !
صمّ عن الدنيا بلونِ الخوفِ
كانوا ، والرغامِ
عاشوا على الأوهامِ
كالديدانِ تنهش في الرمامِ
أحياؤهم موتى
وموتاهم خفافيش الظلام
لم يعرفوا نورَ السماءِ
ولا تباريحَ الغرامِ
أما نساؤهمُ
فجرذان تعيش على الهوامِ
بيني وبين سمائك الزرقاء
صخرتهم
فنامي !

من لا مكانْ
لا وجهَ ، لا تاريخَ لي ، من لا مكان
تحت السماء ، وفي عويل الريح أسمعها تناديني : « تعالْ » !
لا وجه ، لا تاريخ .. أسمعها تناديني : « تعالْ » !
عبر التلال
مستنقع التاريخ يعبره رجال
عدد الرمال
والأرضُ ما زالت ، وما زال الرجال
يلهو بهم عبث الظلال
مستنقع التاريخ والأرض الحزينة والرجال
عبر التلال
ولعل قد مرّت عليّ ... عليّ آلاف الليال
وأنا ـ سدى ـ في الريح أسمعها تناديني « تعال » !
عبر التلال
وأنا وآلاف السنينْ
متثائبٌ ، ضَجِرٌ ، حزين
من لا مكان
تحت السماءْ
في داخلي نفسي تموت ، بلا رجاءْ
وأنا وآلاف السنين

متثائب ، ضجر ، حزين
سأكون ! لا جدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان
الضوء يصدمني ، وضوضاء المدينة من بعيدْ
نَفْسُ الحياة يعيد رصف طريقها ، سأم جديدْ
أقوى من الموت العنيدْ
سأم جديد
وأسير لا ألوي على شيء ، وآلاف السنين
لا شيء ينتظر المسافرَ غيرُ حاضره الحزين
وحلٌ وطين
وعيون آلاف الجنادب والسنين
وتلوح أسوار المدينة ، أي نفعٍ أرتجيه ؟
من عالم ما زال والأمس الكريه
يحيا ، وليس يقول : «ايهْ»
يحيا على جيف معطّرة الجباه
نفس الحياة
نفس الحياة يعيد رصف طريقها ، سأمُ جديد
أقوى من الموت العنيد
تحت السماء
بلا رجاء
في داخلي نفسي تموتْ
كالعنكبوت
نفسي تموت
وعلى الجدارْ

ضوء النهارْ
يمتصُّ أعوامي ، ويبصقها دماً ، ضوءُ النهارْ
أبداً لأجلي ، لم يكن هذا النهارْ
الباب أُغلقَ ! لم يكن هذا النهارْ
أبداً لأجلي لم يكن هذا النهار
سأكون ! لا جدوى ، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه ، لا تاريخ لي ، من لا مكان

بعد الربيع

يا ليالي الحرمانِ في كوخيَ النائي
ويا خيبةَ الحقول الحزينهْ

موسمُ الحب والحصاد سيبقى
حلماً ترقب العيون فتونه

أنا روّيت بذرتي بدمائي
وتجاهلتُ أنها مسنونه

وتعهّدتها وكنت ليأسي
أتمنى بأن تظل دفينهْ

الربيعُ الربيعُ مرّ عليها
وسبى روحها ومرّ: «لعينه!»

وعصافير قريتي سلبتها
كل ما كنتُ واهماً أن تكونهْ

وعلى قبرها الكئيب تلاقى
سارقُ القوت من يدي والضغينهْ

ها هنا عالم يجوع لتلهو
في مقادير عيشه طاحونه

وهنا تُطرق السنابل خجلى
من تداعي هياكل موهونهْ

بـاعـت الأرض روحـهـا ـ وتـأبَّـتْ
أن تعي بؤسها لوحش المـدينهْ

يا ليالي الحـرمان ! مـاتت وعشنا
بعدها نرقب الردى في سكينهْ

وغـداً ينبش الـخـريف ثـراهـا
لـيـذرّي قشـورهـا الـمسـنـونـهْ

... وكرنّةِ العصفور صوتك لا يزالْ
في ليل باريسٍ يناديني : تعالْ !
في ليل باريس : تعال !
حيث البغايا الشقر والعتمات والمتسولون
وضريح « ميرابو » و روبسبير والفكر المهان
تحت النعال وصوتها في ليل باريسٍ : تعال !
والثلج والعتمات والمتسولون
وسعال طفلتنا المريضة ، والبواخر ، والزمان
وصليب ثورتنا القديم :
« حريةٌ . عدلٌ . مساواةٌ » يُلوّثُ في دماء الأبرياءْ
إخواننا الشرفاء في الإبداع ، والغد ، والمصيرْ
وطلائعُ الثوار تقتحم الحصونْ
وأنا وأضواء الحرائق والجنود

وراء خط النار ، جرحى ، يائسون
« سوزانُ » طفلتنا تموت
في ليل باريس ، وأضواء الحرائق والجنود
والثائرون
بحرابهم ، أبداً ، برشّاشاتهم يتقدمون
وحنينهم ، نــحــو اللظى ، يتقدمون

المارد الجبار في أعماق آسيا يستفيق
من حلمهِ القلِق المُميت
وعلى مياه الأنهر السوداء تطفو ، والتلولْ
جثثُ الخيولْ
وطلائع الثوار تعدم بالرصاص الخائنين :
« وحقِّ أسماء الكلابْ
لا مجدَ تحت الشمس
إلا مجد أبناء الحياة
والخبز والحرية الحمراء والغد والمصير
باريس يا بلد الظلام
العاهر الملعون « هتلر » لا يزال
لا مجد إلا مجد أبناء الحياة
والخبز والثوار ، يا بلد الظلام ! »
وأنا وأضواء الحرائق والجنود
وحصون « لاؤوس » المنيعة ، واللظى والثائرون
بحرابهم ، أبداً ، برشاشاتهم ، يتقدمون :
« الموت للمستعمرين !
يا أنت يا « لاؤوس » يا غابَ العبير !
في قلب ماردنا الكبير
الموت للمستعمرين ! »
وأنا ، وصوتك لا يزال
في ليل باريسٍ ، يناديني : تعال !

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم
وعـاد أوَّلُهم ينعي على الثاني
وسارقُ النار لم يبرح كعادته
يُسابقُ الريحَ من حانٍ إلى حانٍ
ولم تزل لعنة الآباءِ تتبعه
وتحجب الأرضَ عن مصباحه القاني
ولم تزل في السجونِ السودِ رائحةٌ
وفي الملاجىء من تاريخه العاني
مشاعلٌ كلما الطاغوتُ أطفأها
عادت تضيءُ على أشلاء إنسانِ
عصر البطولات قد ولّى وها أنذا
أعودُ من عالم الموتى بخذلانِ
وحدي احترقتُ ! أنا وحدي ! وكم عبرت
بيَ الشموسُ ولم تحفلْ بأحزاني

إنـي غـفـرتُ لهمْ
إنـي رثـيـتُ لهمْ !
إنـي تـركـت لهمْ
يـا ربِّ أكفاني !

فلتلعب الصدفةُ العمياء لعبتها

فقد بصقت على قيدي وسجّاني
وما عليّ إذا عادوا بخيبتهم
وعاد أوّلهم ينعي على الثاني

عينُ السجينْ
من قبوهِ الأرضيّ ، للنجم الحزين
من قبوهِ الأرضيّ تضرع ـ والمصيرُ يروعه ـ عينُ السجينْ
وشذا الخمائلِ والصخورْ
وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبْ
بعدَ الغروبْ
تأوي إلى برج المدينة والقوافلُ والدروبْ
الليل أدركها ، وللنجم الحزين
عين السجين
من قبوه الأرضي تضرع ، والمصيرْ
والليل والنجم الحزين على الغديرْ
الريح تطمسه ، وفي القفر الوعيرْ
كنا نسيرْ
كانت قوافلنا بلا نجمٍ ، وقد كنا نسيرْ
ما كانَ لا ، عبثاً يكون
لا ! لن يكونْ
كلماتنا ستدكّ جدرانَ السجونْ
وتضيء للموتى منازلهم وتكتسح الطغاةْ
بحروفها المتوهجات
كلماتنا ! ما كان لا ، عبثاً يكونْ
يــا أرضُ ، يــا أمّ الجميــعِ ، ستهــرمينَ ! ولا يكــونْ

ما كان ، يا أمّ الجميع ، ستهرمين ! ولا يكون
كانت قوافلنا بلا نجم ، وقد كنا نعيد
صلواتنا الخرساءَ للصبح البعيد
كنا نُعيدْ
صلواتِنا ، يا أمّ ، للصبح الجديد
ووراءنا تعوي الكلاب ، ومن بعيد
أرضُ العبيد
كانت تلوح كما نريد
البرجُ فيها مائلٌ ، والأفقَ تصبغه الدماء
كنا ظِماءْ
حتى نسينا أننا كنا ظماءْ
وعلى رصيف المرفأ المهجور ، كانت غمغماتْ
أطفالنا ونسائنا المتهللات
حتى نسينا أننا كنا عراةْ
يا أمّ ! عاد أتسمعين
نجواهُ في الريح الحزين
وتفرّ من عين السجين
بعض الدموعْ
وشذا الخمائل والصخورْ
وصدى القوافل والطيور العائدات من الجنوبْ
لبيوتنا تأوي ومن نائي الدروبْ
أصداء قافلة تغنّي ، إنها : ريح الجنوب
وشذا الخمائل . . . إنها : ريح الجنوبْ
يا أمّ ! عاد أتسمعين

وتفرّ من عين السجينْ
بعض الدموعْ
وفي الدروبْ
أصداء قافلة تغني ، إنها : ريح الجنوبْ !

حبُّهـا كـان .. وفي قـريتنـا
يدّعي العرّاف : « أنّا عاشقانْ »

آهِ لـو عُدْنـا إلى الحقل لَمَـا
طـردتنا الـريح من كـل مكـانْ

أرضـه السـوداءُ والمحـراث في
صدرِها باقٍ ، كما بالأمس كانْ

والعصـافيـرُ عـلى نـدرتـهـا
لم تزل تؤنس غابَ السنـديانْ

والـربى لمَّـا تـزل شـاحبـة
فُلّهـا يسـأل عنـا الأقحـوان

آهِ لـو عُـدنـا ، لقبّلتُ ثـرى
أرضـه ، واحتضنتْ رأسي يدانْ

ولـطوّفـتُ عـلى أكـواخـه
سـارقاً نـومَ الصبيّات الحسـانْ

مـوقـظاً منْ كـان ليلي ليلُهـا
وإليهـا كـان يـدعوني الحنـانْ

وإلـى البـدر نـمضـي خلسـة
عن عيون الأهل نُصغي لأغانْ

لأغـاني الحـاصـد العـائـد من
كوخه النـائي المُغشّى بالـدخان

أتُـراهـا لم تـزلْ تـذكـرُ مِنْ
عمرها يوماً به كانت وكانْ؟

يـوم ألقتْـه على الأرض وقـد
نـامت القـريـةُ عنّـا والـزمـانْ

الشمسُ ، والحمرُ الهزيلةُ ، والذبابْ
وحذاءُ جنديٍّ قديم
يتداولُ الأيدي ، وفلاحٌ يحدّقُ في الفَراغْ :
« في مطلع العامِ الجديدْ
يداي تمتلئانْ حتماً بالنقودْ
وسأشتري هذا الحذاءْ »
وصياحُ ديكٍ فرّ من قفصٍ ، وقديس صغيرْ :
« ما حكّ جلدكَ مثل ظفركْ »
و « الطريق إلى الجحيمْ
من جَنةِ الفردوسِ « أقربُ » والذبابْ
والحاصدونَ المتعَبونْ :
« زرعوا ، ولم نأكلْ
ونزرع ، صاغرينَ ، فيأكلون »
والعائدونَ مِنَ المدينةِ : يا لها وحشاً ضريرْ
صرعاهُ موتانا ، وأجسادُ النساءْ
والحالمونَ الطيبونْ »
وخوارُ أبقارٍ ، وبائعةُ الأساور والعطورْ
كالخنفساءِ تدبُّ : « قبرّتي العزيزة » يا سدوم !
لن يُصلحَ العطّارُ ما قد أفسدَ الدهر الغَشومْ
وبنادقٌ سودٌ ومحراثٌ ، ونارْ
تخبو ، وحدّادٌ يراودُ جفنَه الدامي النعاسْ :

« أبداً ، على أشكالها تقَعُ الطيورْ
والبحرُ لا يقوى على غسلِ الخطايا ، والدموعْ »
والشمسُ في كبدِ السماءْ
وبائعاتُ الكرم يجمعنَ السلالْ :
« عينا حبيبي كوكبانِ
وصدرُهُ وردُ الربيع »
والسوقُ يقفر ، والحوانيت الصغيرةُ والذباب
يصطادُه الأطفالُ ، والأفقُ البعيد
وتثاؤبُ الأكواخِ في غابِ النخيلْ

مهلاً ! هناكَ أرى مدينَتهم
تنهال في طرقاتها الظلمُ
مرضى ، وثرثارون ، غائرةٌ
أحداقُهم ومطاعمُ ودمُ
صبغوا به ـ خوفاً ـ نوافذَهم
وتقمصوا أسلافهم ، وهُمو
للآلة الصمّاء قد سجدوا
وبربّها المشؤوم قد حلموا
قالوا : « الجدار! غداً سنهدمه
برؤوسنا التعبى ، ونُنهدمُ
ونُعيد للموتى قداستهمْ
فيسودنا من نسلهم صنمُ
يأوي البنونَ إلى حظيرته
وتشدّهم في ركبهِ قيمُ
قيَمٌ مياهُ الحقدِ تحملها
من شاطىءٍ جدبٍ ، فتنحطمُ »
وهناك ! مهلاً ! ثمّ محرقةٌ
ملأ البيوتَ دخانُها النَهِمُ
هبط الظلام ونارها أبداً
مجنونةٌ حمراء تضطرمُ

« مامون »[1] والدولار يدعمه
- بإزائها - والفكر والعدم
وصبيّة تبكي ، ومركبة
يسطو على حُوذيّها خدمُ
وأرى بغايا ينتَحبنَ على
حُبٍّ تدوس رفاتَه قدمُ
وعيون شحّاذ ملوثة
ودماً يسيل ، وباعة وجموا
من أين ؟ والأمطارُ تحجبهم
عنّا وسقف الليل ينهدمُ
إنا هجرناهم ، وليسَ لنا
في أرضهم بعث ، ولا رممُ

(١) مامون : إله المال في الميثولوجيا اليونانية .

غليونه القذرُ المدمّى والضبابُ ،
وكوّة الحان الصغيرْ
ورفاقه المتآمرون يثرثرون :
« البحر مقبرة الضميرْ »
ويقلبون كؤوسهم ويقهقهونْ :
« هذا العجوز ألا يكف عن الشخير ؟ »
والليل والحان الصغير
ورفاقه والخمر والدّم والضبابْ
صورٌ تعود به ، تعود إلى الوراءْ
إلى جزيرته وشاطئها والاف السفائن ، والرجال
والمومساتْ
بثيابهن الباليات
يجمعن أعواد الثقاب
وينتظرن على الرصيفْ
والسحب تبكي والخريف
في أخريات الليل ، والبحر الغضوب
ورفاقه المتأمرون
عما قريب يُقلعون ، ويتركونْ
هذا العجوز
للخمر والدم والضباب

والنوم والحان الصغير
ليستعيدْ!
وأي ذكرى يستعيد
هذا العجوز
أفضائحَ الأمس القريب أم البعيدْ ؟
في الشرق ، في أرض المعابد والكنوزْ
حيث القبابُ ، وحيث آبارُ الزيوتْ
يتلاقيان على صعيدْ
وحولها شعب يموتْ
ليستعيد !
وأي ذكرى يستعيد ؟
هذا العجوز
واللطخةُ السوداءُ في تاريخه الدامي اللعينْ
كالنار باقيةً تثير الخوف والحقد الدفين
في قلب افريقيا وفي الكنج المقدّس ، والقنالْ
حيث الرجال السمرّ تحت الشمس يقتحمون إعصارَ المنونْ
ويصنعون
تاريخهم ، ويدافعون
عن الحضارة ، والغد المأمول بالدم والدموع
وحيث صحراءُ الصقيعْ
والثائرون
والريح تُعولُ في الخنادق والجنود
يتساءلون : « متى نعود ؟ »

ويظل « لص البحر » يضحك ، والسماءْ
تبكي وتبكي والخريف
والمومسات على الرصيف
يجمعن أعواد الثقاب
وهؤلاءِ ، وهؤلاءْ
يتساءلون : « متى نعود ؟ »
ويظل يضحك ، والسماءُ ، وهؤلاء
يتساءلون ، وفي الضبابْ
غليونه القذر المدمى ، والرفاق العائدون يثرثرون :
« البحر مقبرة الضمير »
والليل والحان الصغير

انتظار

صلّي لأجلي !
عبرَ أسوارِ
وطني الحزين ، الجائعِ ، العاري
وعلى رصيف المرفأ انتظري
- يا كوكبي الساري
وحديثَ سمّاري -
قلبي مياهُ البحرِ تحمله
تفاحةً حمرا . . . كتذكارِ
وعبيرُ آذارِ
ورفاقُ أسفاري
يتلمّسون طريقَ عودتهم
ورسائلي وأبي وأزهاري
وكلبُنا الضاري
يعوي ، وعينا شيخِ حارتنا
مصلوبتان على لظى النارِ
وشجيرة الليمون يسرقها
مهما تعالتْ ، صبيةُ الجارِ
. . . وكقُبّرات الصبحِ ، هائمة
والموتِ والثارِ
ستظل أفكاري

تعلو وتعلو عبر أسوارِ
وطني الحزين ، الجائع ، العاري
وأنا وأطماري
في غربةِ الدارِ
وحدي بلا حبٍّ وتذكارِ

الأسير

يا ملاكي الصغيرْ   هل عرفتَ الألمْ ؟
والبكاءَ المريرْ   والهوى والندمْ !
والطريقَ الأخير   وخبيثَ السأم !
يا ملاكي الصغير   هل عرفتَ الألم ؟
عشبةٌ في الهجير   لَعَنَتها الدِّيم
باللّظى تستجير   والسرابِ الأَصم
في انتظار المصير   أطرقت ثم لمْ . . .
الضمير الضميرْ   - يا لكَذبِ الرِّمم -
زَيّفته القيم
لن تعودَ النسورْ   فاهزأي يا قمم
فالتّرابُ الحقير   عند موتى الذمم
بطلٌ أو صنم
يا ملاكي الصغير   هل عرفتَ الألمْ ؟
« بعد كدّ المسيرْ »   كَمْ تراءتْ حُممْ
لعيون الأسير   في صحاري العدمْ
وخطايا غدير   ورؤىً لم تَنَمْ
وجناحٍ كسير   وبقايا نغم
ليس بعد الظّلَمْ
غيرُ وادٍ وعير   وغبارِ القِدَمْ

ورمــادِ الــمــصــيــرِ وفــراغٍ ودمْ
وثلــوجِ القِمــمْ
يــا مــلاكي الصغيــر هــل عــرفــتَ الألــمْ ؟

عبر الصحارى الموحشات ، ترنّ أجراسُ الحياة
في الليل معلنةً : « بأن عدُوّها الممقوت مات »
وإلى المدائن والقرى المتناثرات
عبر الصحارى الموحشات
ينسلّ ضوءُ الفجر أقوى من ينابيع الحياةْ
وتهبُّ أطياف العبيد من السبات :
« نحن العراةْ
بالأمس سخّرَنا الطغاة
لبناء هذي السخريات »
ومن القبور الصامتات
للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة

وعلى المعابر في الجليد
تنساب أطياف العبيد
وصدى الرنين ، من البيوت ، ومن بعيدْ
ينهال مفترساً بقايا الخوف والعجز المبيد :
« نحن العراةْ
بالأمس سخّرَنا الطغاة
لبناء هذي السخريات »
ومن القبور الصامتات
للمنقذ المجهول ترتفع الصلاة

وتهب عاصفة فتدفعهم إلى قلب المروجْ
وتظل أجراس الحياة ترن ، والوادي يموج
والفجر يصبغ بالدم الطاغي أكاذيب البروج

ولمحت في عينيكِ
إنساني
الضائعَ ، المتهافتَ ، الفاني
ذئباً يدب إلى كنوزك في
أعقاب ليلٍ :
« كان إنساني ! »
وتغمغمينَ :
« . . . وكان يهواني »
ومن الظلام تفوح أغنيةٌ
يلغو بها المذياعُ في حانِ :
« كنزي الوحيد
حمامتي ، حلمي !
يا أخت قلبي المظلم الجاني ،
يا نارَ أشجاني !
ردي عليّ ، عليّ إنساني »
وتناثرت خصلٌ معطرةٌ
وعلى السرير أنهد ظلاّنِ
وعواء حيوانِ
وتغمغمين ، وأنت شاحبةٌ
مسحوقةٌ : « . . . وغداً سينساني ! »

ويغوص في نهديك مخلبه

ويموت في عينيكِ

إنساني

ـ وأنا . . .

ـ وأنتَ ؟

ـ أنا وحيدْ !

كقطرة المطر العقيم ، أنا وحيد !

ـ وهؤلاءِ ؟

ـ مثلي ومثلك يحفرون قبورهم عبر الجدارْ

مثلي ومثلك مُقبلون على انتظار

مَنْ لا يعود

وأنا وأنتَ وهؤلاءْ

كالعنْزة الجرباء أفردها القطيعْ

لا نستطيع . . .

وإذا استطعنا ، فالجدارْ

والتافهونْ

يقفون بالمرصاد ، كالسدّ المنيعْ

لا نستطيع . . .

وأنا وأنتَ وهؤلاء

والتافهونْ

والشمسُ في الطرقات تحتضن البيوت

فتُثير في النفس الحنينَ إلى البكاءْ

وهناك في قُللٍ من الفَخّار أزهارٌ تموت

والشمس تحتضن البيوت . . .
وقديمُ أغنيةٍ ، وأطفالٌ بها يترنمون
وباعةٌ متجولون
والتافهون يُساومون على رفاتْ
نسرٍ صغير
- سمّاهُ بائعُه « ضميرْ » -
وأنا وأنتَ وهؤلاء
كالعنزة الجرباء ، أفردها القطيع
بلا ربيعْ
بلا ربيعٍ أو بيوت
من الشروق إلى الغروب
ومن الغروب إلى الشروق
نبقى ونبقى في انتظار
مَنْ لا يعودْ
لا شيءَ ينبض بالحياةْ
في هذهِ الجُدر البغيضةِ والدروبْ
يا أيها التعساءُ ! - في هذي الدروبْ
لا شيءَ ينبض بالحياة
هنا . هنا العدم الرهيب
لا شيءَ . . . والعدمُ الرهيب
والشمس تغرب والبيوت
- يتثاءب - الأطفالُ في أبوابها يتثاءبون
والتافهون يساومون ويهرفون :

« بيعُ النسور !
أجدى من القُلَلِ الدميمةِ والزهورْ »
وأنا وأنتَ وهؤلاء على انتظار . . .
والليل يتبعنا ككلبٍ جائعٍ عبر الجدارْ

عبرَ بابِ السجنِ ، عَبرَ الظلماتِ
كوخنا يلمع في السهل ، وموتي ، والنجومُ
وقبورُ القريةِ البيضاءِ ، والسورُ القديم
وقيودي وهواها
وطواحينُ الهواءِ
وبطاقاتُ البريدِ :
يا رفاقي في الطريق
عبر باب السجن ، غنّوا ، يا رفاقي
لم يزل عالمنا يحفل بالخير ، وبالحب العميقِ
يا رفاقي ، والنجومُ
وطنين النحل في مقبرة القرية ، غنّوا !
والعصافير إلى سَرْوتنا الخضراءِ ما زالت تَحنّ
لم يزل عالمنا أروعَ ممّا
حدّثونا عنه ، ممّا صوّروهُ
في الأساطير لنا ، أروعَ ممّا صوّروهُ
لم يزل يحفل بالخير ، وبالحب العميق
يا رفاقي في الطريق
ومسرات ليالينا العميقهْ
والطواحين العتيقهْ
عبر باب الليل ما زالت ، وما زلت بسجني

سنواتٌ أربعٌ مرت ، وما زلت بسجني
ورفاقي يحرثون الأرض في الشرق البعيد
وأنا ما زلتُ في السجن ، أغني
وقيودي وهواها
وبطاقات البريدِ

بالأفق المفقود ، قالوا : « غداً نُلهي رقيقَ الضيعة التائهةْ
الدمُ ، والأرضُ بقربانها ، جادتْ ! فأين الخبزُ والآلهةْ ؟ »
النّيرُ والمِحراثُ والثورُ الجريحُ على الثلوجْ
يغفو ، ليحلَم بالسواقي والمروجْ
والحقلُ أخفته الثلوجْ
عن زارع الورد الحزين
إلا كَمينْ
ما زال ينتظر الثعالبَ واللصوص الجائعينْ
والسنديانةُ ما تزالُ على طريق العابرين
يقظى ، توسّد جذعَها المنخوبَ ، أفَاقٌ طريدْ
السنديانةُ والجليد . .
غطّى طريقَ القرية المصبوغَ بالدمِ ، والكمينْ
ما زال ينتظر اللصوصَ الجائعينْ
وهناك عبر الحقل ، أكواخٌ تنام وتستفيقْ
عبر الطريق
بشرٌ ينام ويستفيق
بشرٌ ينام مع الدواب السائبات على سواءْ
ما دام ينعم بالثراء
ابنُ السماء
« العمدُة » المرهوبُ ، والخبزُ العريقْ

ـ حلمُ الملايين الجياع من الرقيق ،
وَلِمَ الشهيقْ ؟
الخبزُ تُنضجه السياطُ الدامياتُ لِمَ الشهيق ؟
وَلِمَ العويلْ ؟
غداً الرحيلْ !
عن هذِهِ الأرض الخبيثةِ ـ لعنةُ العيش الذليلْ ـ
حلت بجيلٍ بعد جيْل
غداً الرحيل
والعمدةُ المرهوب يمسح بالسياط ، دمَ الظهورْ
كتلٌ مشوهةٌ تدورْ
حول الزرائب ، والقبور النائمات على القبور .
أصواتها النكراء ، تقطر بالدم المزرقّ ، بالدم
إذ تدور
كتلٌ مشوّهة تدورْ
وتعود تنبش في المزابل والقبور
ليظل طاغيةُ العصور
بالويل يُنذر والثبور
ـ بشراً يعيش مع الشياهِ ، مع الشياهْ ـ
ان رنّقت عيناهُ في نهر الحياهْ
والسنديانة في الثلوج السود ، والثور الجريحْ
يغفو ، وأشباح اللصوص ، هناك تغدو أو تروح

أقسى من الموتِ ... مقتي لها مقتي
تمنحني قلبها ... لتشتري صمتي
وبعدها، بعدها ... لا يأسَ من موتي
بالأمس كان الهوى ... يُضيء لي بيتي
واليومَ لم يبقَ لي ... إلا الذي شئتِ
وحدي؟ بلا موعد ... أصيح: «يا أنتِ»
تغمرني وحشةٌ ... والليلُ لم يأتِ
قاحلةٌ، سبخةٌ ... ضائعة الوقتِ
يجفّ في تيهها ... على فمي صوتي
عمود ملح بها ... كنتِ! أجل كنتِ
بالأمسِ كان الهوى ... يضيء لي بيتي
واليومَ لم يبقَ لي ... إلا الذي شئتِ

بالأمسِ كُنا ، آهِ من كنا : ومن أمسٍ يكون

نعدو وراء ظلالنا . . . كنا ، ومن أمسٍ يكون

لا نرهب الصمتَ الذي تُضفيه أشباحُ الغروبْ

فوق الحدائقِ والدروب

لا نرهب السورَ الذي من خلفه يأتي الضياءْ

ولربما مات الضياء ولم يَعدْ ونقول : « جاءْ ! »

كنا نقول كما نشاء

حتى النجومْ

كنا نقول بأنها ـ كانت ـ عيونْ

للأرض تنظر في فتون

حتى النجوم

كانت عيون

لا نعرف « الشيءَ الصغيرَ » ولا نُصدّق ما يقالْ

ولا نزال

لا نعرف الشيء الصغير ولا نصدق ما يُقالْ

ولربما كنا نحدّق في الفراغ ، ولا ننام

وفي الظلام

مأوى العفاريت الضخامْ

كانت مدائننا الجديدة في الظلام
بمنازل الأموات ، أشبه ، أو قرى
النمل ـ . . . الجديدة في الظلام ـ
كانت مدائننا تقام
وفي الظلام
كنا نُحدِّقُ في الفراغ ، ولا ننام
الا على أصوات عالمنا المقوض ، والعبيدْ
يتسكعون ، ومن جديد
يستقبلون ـ هناك ـ طاغيةً جديد
وخيولنا الخشبية العرجاء ، كنا في الجدارْ
بالفحم نرسمها ، ونرسم حولها حقلاً ودارْ
حقلا ودار
ونُطارد القطط الهزيلة في الأزقّة بالحجار
وإلى « الحبيبة » كان يدفعنا ، ويدفعنا الحنين
في بيتها نقضي أماسينا الطويلة حالمينْ
كنا لخفق نعالها الفضيّ ، نُصغي ساهمين
بعد المساء ، وبعد حين
وتثور أحقادُ السنين
فنعود ، نبحث في بقايا الذكريات عن الحياة
الأمس مات
الأمس مات
لم يبق حول « مدينة الأطفال » إلا ما نشاءْ
إلا السماء

جوفاء ، فارغة ، تحجّر في مآقيها الدخانْ
إلا بقايا السور والشحاذ يستجدي ، وأقدام الزمانْ
إلا العجائز في الدروب الموحشات
يسألن عنّا الغاديات ، الرائحات
ولربما مرّتْ بهّن. . . بهنّ هذي الذكريات :
«السور» و«الشحاذ» و«الطفل الذي بالأمس ماتْ»

على عـالم ، نصفُـه ميتٌ
فتحت عيـوني ! وأطبقتُهـا
سمـاء ملوثـة بـالـدخـان
يُـلاحقني ، عبثاً صـوتُهـا
سأذهبُ . قطعانُهم في الطريقِ
بهـا عـاد مستهـزئـاً مـوتُهـا
ذبـائحُ ، ضـائعـةٌ ، لا تعي
إلى الله ألجـأهـا قـوتُـهـا
فـظلت وأهرامُهـا الشاحبـات
يُؤبّن ـ ما تـركتْ ـ صمتُهـا

* * *

عـويـلٌ يـلاحقني أينـمـا
هبطتُ ، وظلّ ورائي يسيرْ
هنا كفرت بـالسواقي الـورود
وعاشت على ذكريات الغديرْ
هنـا الليل ! أبنـاؤه أطفـأوا
مصابيحنا في الهزيع الأخيـر
هنـا رفعت للسمـاءِ العقيم
قـرابينهـا، آلهـات القبـور

مماليكُ، أعينُهم في الحضيض
محيّـرةً في انكسـارِ تـدور

* * *

أنـا عائـد! يا رفـاقَ الطريق
إليكم، قُبيلَ اختلاط الظلامْ
هي الأرض محرابُنا السرمدي
عليها سنبني صروحَ السلامْ
قُـرانا على السفـح لمّا تَـزَلْ
مـروّعـةً بـانتـظار الغمـام
وأطفالُنا في ممـاشي الحقول
يَسوقـون أغنـامَهم للحمـام
وفي شرقنا قـريةٌ لم تـزل
يُباع بها النـاس مثلَ السـوام

قالتْ : حديقتُنا ؛ أتبقى في الربيعِ بلا زهورْ ؟
قلت : اهدئي بعد الربيعْ
سأهيم وحدي في البحار النائياتْ
مغني النساء الساحراتْ
والخمر والدم والدموع
ودليلُ مركبيَ الجَسورْ
عينان خضراوانِ ، أنفاسُ الحياة
ليلاً تهبّ عليّ من حقلي البعيدْ
حيث الشموع المطفآت
في مخدعي المهجـور تنتظر اللهيبْ
وخيال أمي الراعش الباكي الكئيب
تومي إليّ بأن أعودْ
وإلى خطى ساعي البريد
تُصغي ، وتُصغي : « ليس في الدنيا جديد »
حتى الرسائلُ لا تُعيدْ . . .
« صلّي لأجلي ، أنت يا أُماهُ من وطني البعيدْ »
وتظل تلثمها كأن غلافها وجهي الكئيب
وحيث إخوتي الصغارْ
يتساءلون : « متى أعود ؟ »

والليل يمضي والنهارْ
وأنا ، أنا وحدي أجوبْ
عرضَ البحار مع الغروب
ودليل مركبيَ الطروبْ
عينان خضراوان ، آلهةُ الربيعْ
من عالم الموتى تُطل عليّ من أفق الدموعْ
إنْ ضاع أمسي في انتظارك أيها النجمُ السعيدْ
فغداً على الأمواج ، ايماني يعود
بكَ أيها النجمُ السعيد

ـ « لو لم تمتْ ! »
وحجبتُ عن عيني الجليدْ
وصرختُ من أَعماق يأسي : « لا أريدْ ! »
هي والسنونو والربيع ، غداً تعود
هي والوجود ، غداً تعودْ
وحجبت عن عيني الجليد ، ومن جديد
فوق الحقول ، تلألأ القمر النحيلْ
كذبابةٍ حمراء ، يجنح للأفولْ
وصرخت : « لا . . . »
في وجه موتي : « لا أريد ! »
وبصقت : « لا . . . »
في وجه موتي : « لا أريد »
الباب يُفتح ، والضياء يمسّ نفسي من جديدْ
وكأنما بيض تَكَسّرَ عن نسورْ
نفسي ـ التي كانوا أماتوها ـ تكسر عن نسورْ
طارت إلى أفق البكاءْ
« لو لم تمت ! »
وبصقت في وجه السماء
لا دمع في عيني ، وموتي ، والضياءْ

والباب يُفتح من جديد :

« رباهُ ! . . . » والباب المُوارب في حياءْ

نفسي تهز رتاجه المصدوع يخنقها البكاء

« رباهُ ! أحوج ما نكونْ

فقراءُ نحنُ إليكَ ، أحوج ما نكون

رب المساكين ، الحزانى ، الضائعين

فقراء نحن اليك ، رب الضائعين ! »

والليل ، والأنداء ، والقمر النحيل

كذبابة حمراء ، يجنح للأفول

وضحكت : «ماذا يشتهي الإنسانُ

إنْ ملَكَ الذي قد يشتهيهْ ؟ »

ماذا ؟ « سوى القمر »

ـ . . . الذي قد يشتهيهْ ؟ ـ

ماذا ؟ وفي نفسي الرغائب تستفيق

« لو لم تمت ! »

وشرعت أعدو في الطريقْ

عبد الحياة ، أنا الرقيق

عبد الحياة يعود ، يحمل من جديدْ

جذلانَ ، صخرته ، إلى السفح البليد

وسخرت من نفسي : «تعود ؟

هي والربيع ، غداً تعود ! »

يـا طيفهـا ! نـوافـذي أُغلقت
وأُطـفئـت أنـوارهـا بـعـدَهـا
مـرّ ربـيـعـان وعـادا ولـم
تحمـلْ إلى مقبـرتي وردَهـا
مـن أيـن أقـبـلت وآبـارنـا
مسمـومـة لا نلتقي عنـدهـا
قلوبنا الظمـأى وقد أجـدبت
عـادت إلى غـربتهـا وحـدهـا
تـطعم روح الليل أفـلاذهـا الـ
ـعذراء إما جـوعهـا هـدّهـا
مـن أين أقـبلت وأبـوابـنـا
الـريـح فيهـا نَفَثَت حقـدهـا
كـان لنـا فجـر وكـانت لنـا
آلـهـة تـمـنـحـنـا ودّهـا
يـا طـالمـا غنيت في حبّهـا
وكنت في حبي لهـا عبدهـا
حتى إذا ما الأمس ولى مضى الـ
ـساقي وخلّى في فمي قيـدها
يـا طيفهـا ! نـوافـذي أغلقت

وأطفئت أنوارها بعدها

مرّ ربيعان وعادا ولم

تحمل إلى مقبرتي وردها

سكتت وأدركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزين
كالسائل المحروم ، كالحلزون
ينتظر المساء
وغداً ستوصد بابها في وجهه ، ويعـود للمقهى الحزين ولا
يعود
كالسائل المحروم ينتظر المساء
ولربما سيقول عنه الآخرون ـ ويهزأون
من سره المدفونْ :
« أفّاقٌ لئيمْ ! »
ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
كالبيذق المخذول
كالحلزون يحلم بالمراعي والحقولْ
بالشمس تجنح للأفولْ
وبالفيافي الموحشات ، وبالرحيلْ
ونبيّ قريته ، وصوت (العمدة) القاسي النحيلْ
وبالسنابل والربيعْ
ورضيع جارته الوديع
ويستفيقْ
على صدى مذياع مقهاهُ الحزينْ
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين :

« من آخر البستان بل من آخر الدنيا
أتينا ! » فوق صوت الآخرينْ
وفي الطريقْ
البرد والعربات والليل الطويلْ
ومنازل الموتى ، وشحاذ هزيل
ونوافذ بيضُ ، منورة وآلاف النجومْ
تخبو وطائرة تحومْ
ويعود يحلم بالمراعي والحقول
كالبيذق المخذول ، كالحلزون
يحلم بالحقول
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاهُ الحزينْ
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين :
« الفجر ـ رغم تمائم الموتى ـ قريبْ »
وفي الطريقْ
الليل والعربات والفجر القريبْ
ويعود يحلم بالفيافي والسماءْ
وبالمساء وباللقاءْ
وبقهقهات الآخرينْ
والباب يوصد دونه والبرد والمقهى الحزين
وبالسعال تسحّه رئتاه والدم والظلالْ
وبالرجال الضائعينْ
يتشاجرون ويضحكون ويوصدون

أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين ولا يعودْ
كالسائل المحروم ينتظر المساءْ

الظلال الهائمة

ما زلت أسمعها تغني رغم آماد الزمانْ
فرحي المجنح والكآبة في غدير عيونها يتألقان
وهوايَ كان
طفلاً إلهياً على الأشواك يحبو في الهجير
صوب الغديرْ
حيث الحقول الشاحبات ، وحيث لا قدم تسير
أنا والهجيرْ
صوب الغديرْ
أترى الظلال الهائمات وراءه وَعَتِ الغناءْ ؟
فاسترسلت في شبه حلم، واستفاقت للمساءْ
تروي أحاديث الصبيّات اللواتي كُن يصطدن الرجال
بغنائهن وراء أسوار اللياْلْ
أم لا تزالْ
مثلي تسيرْ
هي والهجيرْ
لتموت في صمت الحقول بلا غديرْ

تمت اللعبة

تمت اللعبة ، لا جدوى
وها نحن انتهينا !
لا تقولي ! « معك الحبّ »
متى كان . . . ! وأينا ؟
لا تقولي : « حظنا شاء » وداعاً ! فإلينا
ينظر (البيذق) في خوف و(صمتي) و(انتهينا)
دمية ألقى بها طفل ، بعيداً عن يدينا
قدر كان وراء الغيب ، يلهو بانطلاقي
آه لو حطمت مصباح الهوى ، قبل احتراقي
وافترقنا قبل أن يخبو اللظى ، قبل العناق
ليت لا كان التلاقي !
أي جدوى من حياتي ؟
والجماد البارد المغمور لم يحفل بذاتي
أي جدوى من حياتي ؟
و(انتهينا) دفنت أشلاءها في أغنياتي
وغداً يَفتتح اللعبة عشاق سوانا
فيرون البيذق الخائف لا كان هوانا
عبثاً تبكين يا بلهاء ما ليس لدينا
تمت اللعبة ، لا جدوى
وها نحن انتهينا .

لا أقولها

في فمي لا أقولها
كلمات مجنحهْ
كلما مرّ عابر
شيّعته مُلوّحهْ
ها هنا، ها هنا قفي !
لوداعي مُرنّحهْ
أنا للأرض عائد
من سمائي المطوّحهْ
في ضميري مذابح
أيّها منكِ مذبحهْ
كانت الأرض قبلنا
للعصافير مروحه
الأغاني طعامها
والزهور المفتّحه
يا ضياعي أنا هنا
حجر ملّ مطرحه
كم تمنيت - يا أنا -
نبتت فيّ أجنحه
فتعودين حرة

للمراعي مسبّحه
أنا ماضٍ وفي فمي
قولة منكِ مفرحه
سيقولون عاشق
عبث الحبّ صوّحه
كانت الأرض قبلنا
للعصافير مروحه
الأغاني طعامها
والزهور المفتّحه

التينة الحمقاء ، والبيت القديمْ
ورفيف أجنحة الفراشْ
وزنابق سود عطاشْ
تذوي ، وأسراب العصافير الجياعْ
ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيلْ
والتينة الحمقاء ، نافرة العروقْ
كالمومس الشمطاء ، لم تُبقِ السنونْ
منها سوى قش وطينْ
وعلى زجاج نوافذ البيت القديمْ
وعلى السياج ، مخالب الموت الصموتْ
نثرت خيوط العنكبوتْ
وغناء حطاب ، أبحّ ، يفيض من قلب السكون :
« كوريقة صفراءَ ، يا ريح الشمالْ !
عبر البحيرات العميقة ، والبساتين احمليني ، والتلالْ
يا أنت يا ريح الشمالْ »
وتُردّد الأصداء : « يا ريح الشمالْ ! »
وعلى الحوائط في اكتئابْ
يتسلق اللبلاب ، أشبه بالبثورْ
ويموء قطّ ، والعصافير الجياعْ

ملوية الأعناق ، تحلم بالرحيلْ
ومن الممرات الطويلة ، عطر إمرأة يضوعْ
عطر يضوعْ
« عادت إذن ! » ويثور في شفتيه جوعْ
جوع إلى لهب الأعالي والفناء
ويموء قطّ ، ليس من أحد هناك سوى المساء
ويفيض من قلب السكون ، غناء حطّاب أليم :
« من ألفِ ألفٍ والحياة ، عنانها بيد الرغيفْ
يا أنت ، يا هذا الرغيف ! لَكَمْ تخيفْ ! »
وتردّد الأصداء : « يا هذا الرغيف ! لكم تخيف ! »
وروائح العشب الخبيث من السواقي المظلماتْ
تطفو على وجه الحديقة كالنبيذْ
وأرانب برية حمر العيون
تنسلّ من دغل كثيفْ
والتينة الحمقاء ، والبيت القديمْ
وزنابق سود عطاشْ
تذوي ، وأسراب العصافير الجياعْ
ملوية الأعناق ، تحلم بالرّحيلْ

تحت جنح الليل ، والصمت ، وأعماقي الكئيبهْ
وعبير الأرض والليمون والماضي وحزني
لم يعد يوقظ أحلام الصبا المخذول فيّا
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عني
الفضاء القذر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيّا
غير أني ، كنت أقوى
كنت من نفسي أقوى
كنت أهوى
لو تلاقينا على ذاك الضياءِ
كفراشين ، على الأوراد غابا في عناق
واحترقنا ، أنا والماضي وعيناها
على ذاك الضياءِ
وعبير الأرض، والليمون يخبو ، والسواقي
كفراشين على الأوراد ، والقرية تصحو من كراها
تغسل الساقية العذراء ، في الفجر رؤاها
والأزاهير إلى النور تُصلّي ، والكلابُ
تنبح الأموات ، والليل المولي ، والهضابُ
وأنا أحلم في نافذتي ، والعطر يخبو
غير أني ، كنت من نفسيَ أقوى

كنت أهوى أن أراها

سوسن الحقل يغطي جسمها العاري ، أراها
ووراء الحائط المنهار ، تستجدي العصافير غناها
كان ضوء ، كان في قبر ، بعيداً ، كان عنّي
الفضاء القذر ، المظلم ، يستنزفه شيئاً فشيّا

الموت ، والإنسان من أعماق فطرته ، يُقدّم في سخاء
شاراته الأخوية ، الإنسانُ في ليل الصراعْ
شاراته في ليل (كينيا) و(الملايو) و(القنال)
في ليل (كينيا) كالشعاعْ
في ظلمة الغابات والمستنقعاتْ
حيث الأفاعي والظلالْ
والشمس والصّبّار ؛ والأفق المخضب بالدماءْ
والكادحونْ
والموت والإنسان والمستنقعاتْ
في ليل (كينيا) والقرى والكادحونْ
ورفيقتي (ماري) تضمد رأس زنجيّ جريحْ
وصبيّة عمياء ، تحلب عنزة ، ومن السهوبْ
كانوا كأسراب السنونو ، كالمداخن ، يرحلون
أبداً كآلهة الأساطير القدامى ، يرحلونْ
ويدفعونْ
عرباتهم في الطين والمستنقعات
في ليل (افريقيا) الحزينْ
في ليل (افريقيا) وزنجي جريح
(ماري) تضمد رأسه والكادحونْ

الكادحون السود والغربان والمستنقعاتْ
ومزارع المطّاط ، والبوليس يفتك بالمئات
ومنازل البيض ، البرابرة اللئامْ
تغفو ، كحيوان خرافيّ ، عجيبْ
والشيب والأطفال في عرباتهم يتدحرجونْ
أبداً كآلهة الأساطير القدامى ، كالظلالْ
في ليل (افريقيا) الحزين ، من السهوبْ
والنار تلتهم القرى ، وخناجر المتربصينْ
كالشهب تلمع في الظلامْ :
« أحراج ـ كينيا ـ يا ينابيع الضياءْ !
يا كوكباً في ليل قارتنا الحزين
يهدي الرفاق السود في أفق الصراعْ
أحراج ـ كينيا ـ يا زنابق ، يا حرابْ !
(العالم الحر !) استفيقي يا حراب !
وإلههُ ـ الدولار ـ يزحف في قرانا الخاوياتْ »
وخناجر المتربصينْ
الكادحين السود ، تلمع في الظلامْ :
« مالان ! يا وغداً بقافلة الطغاة »
إنا سنزرع بالحرابْ
غاباتنا العذراء ، يا وغداً بقافلة الطغاةْ
ومن السهوبْ
(ماري) رفيقتنا تعود ، من السهوبْ
والموت والانسان يصنع فجره في ليل (افريقيا) الحزينْ

المسجد المهجور ، والليل الموشّح بالنجومْ
تتثاءب الأشباح في أبعاده ، ويحوم بومْ
طلل وبومْ
ولهيب تنّور ، تراقص في وجومْ
ـ ماذا ترومْ ؟
مني ومن طللي سدومْ !
الشوكُ يُورق كالصنوبر والكرومْ
إن باركته يد رؤومْ
ـ ماذا ترومْ ؟
نعشي ستحمله الرياح مع الغيومْ
عبر القفار ، مع الغيومْ
وأنا وأحلامي الكسيحة والنجومْ
الشوك والأموات والطّلل المصدع والنجومْ
نبكي ونضحك ثم يدركنا النهارْ
فنلوذ في ظل الجدارْ
عبثاً نحاول ـ أيها الموتى ـ الفرارْ
اليوم تنعب والدروب الموحشاتْ
على انتظارْ
نبقى هنا ؟ يا للدمارْ !
البوم تنعب في احتقارْ

بالأمس كان لنا على القدر انتصارْ
كان انتصارْ
واليوم نخجل أن يرانا الليل في ظل الجدارْ
هذي القفار ، بلا قرارْ
الليل في أودائها الجرداء ، يفترش النهارْ
نبقى هنا . . ؟ يا للدمارْ !
عبثاً نحاول ـ أيها الموتى ـ الفرارْ
من مخلب الوحش العنيدْ
من وحشة المنفى البعيدْ
الصخرة الصماء ، للوادي ، يدحرجها العبيدْ
(سيزيف) يُبعثُ من جديدٍ ، من جديدْ
في صورة المنفي الشريدْ
ـ ماذا تريدْ ؟
« القمح من طاحونة الأسياد يسرقه العبيدْ »
ـ ماذا تريد ؟
« الورد لا ينمو مع الدّمِ والحديدْ »
طلل وبيدْ
تقضي بقية عمرك المنكود فيها تستعيدْ
حلماً لماضٍ لن يعودْ !
حلم العهود الذابلات مع الورودْ
كانت حياتك من جليدْ
ولتبقَ ـ رغم أشعة الحب المذيبة ـ من جليدْ !
في وحشة المنفى البعيدْ
في وحشة المنفى البعيدْ

وشحذت سكيني وسرت بركبهم
ومذابح التاريخ تملأ يقظتي
صوراً كأوراق الخريف على الثرى
الريح تنثرها كعيني ميّتِ
فهناك في الإيوان قاتل ظله
يلهو الفناء بتاجه المتفتّتِ
وحجارة الإيوان عابقة الشذا
من وردة تهب الخلود لوردةِ
وعيون (هولاكو) يجف بريقها
والقيد يكسره العبيد بصخرةِ
ومحطم الأغلال يهوي ساخراً
عبر الزمان على الجذوع ببلطةِ
والعائدون مع الربيع قلوبهم
للدفء تفتح بابها في لهفةِ
«أختاهُ! عاد فضمّخي أثوابنا
بالطيب واحتفظي اليه بقبلتي
الباب موصود فقومي وافتحي
فالمقبض العاجيّ أوهن قبضتي
إني مِنَ الماضي أتيت فمَن هنا

غيـري وغيـر المنصتين لخـــطوتي؟ »
نهــر الحــيــاة وكــان آخــر مــنــظر
روحي له اضطربت ، وسرتُ ومديتي
وعيـون (هـولاكــو) يجف بـريقهـا
والقيــد يكسـره العبيــد بـــصـــخرةِ

« شفتاك جرح لا يزال دماً يسيل
على وسادتنا طوال الليل ، يا عصفورتي ، جرح يسيلْ »
ويظل فارسها يغني تحت شرفتها : « طوال الليل ، آلاف
الحريم
يُولدْن ثم يمتْن عند الفجر إلا أنتِ ، يا حلمي الجميلْ !
على وسادتنا ، طوال الليل ، يا حلمي الجميل ! »
وعمائم خضر ، وصيادو الذبابْ
يخمّسون « قصيدة عصماء !! » في ذمّ الزمانْ
وقبور موتاهم وحانات المدينة والقبابْ
وسحائب الأفيون والشرق القديمْ
ما زال يلعب بالحصى والرمل
ما زال التنابلة العبيدْ
يستنزفون دم المساكين الحزانى الكادحينْ
على وسائدَ من عبيرْ
ويزاولون تجارة القول المزيف والرقيق
ما زال (هولاكو) و (هارون الرشيدْ)
ولم يزل (فقراء مكةَ) في الطريق . . .
وقوافل التجار والفرسان والدم والحريمْ
يُولدْن ثم يمتْن عند الفجر في أحضان (هارون الرشيد)

ويعود فارسها يغني : « لم تعودي ، شهرزادْ !
- زاد المعادْ -
جسداً بأسواق المدينة في المزادْ
جسداً يُباعْ
يا أنتِ ، يا عصفورتي ، يا شهرزاد ! »
ومنابع البترول والكهان والشرق القديمْ
ومحطّم الأغلال يبصق في الظلام على القبورْ

ما زال أعداء الحياة يزاولون

تجارة القول المزيف والرقيقْ
« ما زال (هولاكو) و (هارون الرشيدْ)
ولم تزل (أهرام خوفو) ساخراتْ
من الحزانى الكادحينْ
وعلى هشيم صخورها ، لمّا تزل حمراءَ
آثار السياطْ
وأدمع البؤساء ، والمستضعفين
ولم يزل في السفح ، صيادو الذبابْ
وثورة الجيل الجديد على القديم
ويعود فارسها يغني ، تحت شرفتها : « حياتي ، شهرزادْ !
كحياة باقي الناس كانت ، كالفقاعة في الهواءْ
حتى حملت معي السلاحْ
سلاح ثورتنا على الشرق القديمْ
وهدمت أسوار الحريمْ »

٨ نيسان

أنا عامل ، أدعى « سعيدْ »
من الجنوبْ
أبوايَ ماتا في طريقهما إلى قبر الحسين
وكان عمري آنذاكْ
سنتين ـ ما أقسى الحياة
وأبشع الليل الطويلْ
والموت في الريف العراقي الحزينْ
وكان جدي لا يزالْ
كالكوكب الخاوي ، على قيد الحياة

١٣ مايس

أعرفت معنى أن تكونْ ؟
متسولاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبيرْ !
وذقت طعم اليتم مثلي والضياعْ ؟
أعرفت معنى أن تكونْ ؟
لصاً تطارده الظلالْ
والخوف عبر مقابر الريف الحزين !

١٦ حزيران

إني لأخجل أن أعرّي ، هكذا بؤسي ، أمام الآخرينْ
وأن أرى متسوّلاً ، عريان ، في أرجاء عالمنا الكبيرْ
وأن أمرّغ ذكرياتي في التراب
فنحن ، يا مولايَ ، قوم طيبونْ
بسطاء ، يمنعنا الحياء من الوقوفْ
أبداً على أبواب قصرك جائعينْ

١٣ تموز

ومات جدي ، كالغراب ، مع الخريفْ
كالجرذ ، كالصرصور ، مات مع الخريفْ
فدفنته في ظل نخلتنا وباركت الحياة
فنحن ، يا مولايَ ، نحن الكادحين
ننسى ، كما تنسى بأنك دودة في حقل عالمنا الكبيرْ

١٥ آب

وهجرت قريتنا ، وأمي الأرض تحلم بالربيع
ومدافع الحرب الأخيرة ، لم تزل تعوي ، هناكْ
ككلاب صيدك لم تزل مولايَ تعوي في الصقيعْ
وكان عمري آنذاكْ
عشرين عامْ
ومدافع الحرب الأخيرة لم تزل .. عشرين عامْ
مولايَ . . . ! تعوي في الصقيعْ

٢٩ أيلول

ما زلت خادمك المطيعْ
لكنه علم الكتابْ

وما يُثير برأس أمثالي من الهوس الغريبْ
ويقظة العملاق في جسدي الكئيبْ
وشعوري الطاغي ، بأني في يديك ذبابة تدْمى ،
وأنك عنكبوتْ
وعصرنا الذهبيّ ، عصر الكادحينْ
عصر المصانع والحقولْ
ما زال يُغريني ، بقتلك أيها القرد الخليعْ

٣٠ تشرين الأول

مولاي ! أمثالي من البسطاء لا يتمردون
لأنهم لا يعلمونْ
بأن أمثالي لهم حق الحياة
وحق تقرير المصيرْ
وأن في أطراف كوكبنا الحزينْ
تسيل أنهار الدماءْ
من أجل إنسان الغد الآتي السعيدْ
من أجلنا ، مولاي ، أنهار الدماء
تسيل في أطراف كوكبنا الحزين

١٩ تشرين الثاني

الليل في بغداد ، والدم والظلالْ
أبداً تطاردني كأني لا أزالْ
ظمآن عبر مقابر الريف البعيدْ
وكأن إنسان الغد الآتي السعيدْ
إنسان عالمنا الجديدْ
مولايَ ! يُولد في المصانع والحقولْ

المجد للأطفال والزيتون

أغنية من العراق إلى جمال عبد الناصر

باسمك في قريتنا النائية الخضراء
في العراق
في وطن المشانق السوداء
والليل والسجون
والموت والضياع
سمعت أبناء أخي ، باسمك يلهجون
فدى لك العيون
يا واهب الربيع للقفار
ومنزل الأمطار في قريتنا الخضراء
باسمك يا جمال
سمعت أبناء أخي القتيل
- في رصاص
عصابة الأذناب
في العراق -
سمعتهم باسمك يلهجون
فدى لك العيون
يا صانع السلام والرجال
يا جمال
وواهب العروبة الضياء

ومنزل الأمطار في صحراء
حياتنا الجرداء ، يا رجاء
عالمنا الجديد
وفجرنا المعذب الوليد

١ ـ أغنية

(يافا) يسوعك في القيود
عارٍ ، تمزقه الخناجر ، عبر صلبان الحدودْ
وعلى قبابك غيمة تبكي ،
وخفاش يطيرْ
يا وردة حمراء ، يا مطر الربيع
قالوا وفي عينيك يحتضر النهار
وتجف ، رغم تعاسة القلب ، الدموع
قالوا : « تمتع من شميم ،
عرار نجد ، يا رفيق »
فبكيت من عاري :
« فما بعد العشية من عرارْ »
فالباب أوصده (يهوذا) والطريق
خالٍ ، وموتاك الصغار
بلا قبور ، يأكلون
أكبادهم ، وعلى رصيفك يهجعون

٢ ـ أسلاك شائكة

صيحات حارسة الكروم
في الليل توقظني
فأسمع وهوهات
ريح الشمال
في غابة الزيتون ناحبة ، على سمعي تعيد
مأساة شعبي الصامد المقهور
مأساة الضياعْ
وكأن معركة تدورْ
بيني وبين الموت في صمت وإصرار حزين
أنا لن أموت
ما دام في مصباح ليل اللاجئين
زيت ونار ، عبر مقبرة الحدودْ
حيث الخيام الباليات
كأنها في الريح لافتة تشير
إلى طريق العودة الدامي القريبْ

٣ ـ رسالة

يا إخوتي المتحرقين إلى غد ، تحت النجومْ
يا صانعي الحب العظيم
والخبز والأزهار
يا أطفال يافا الهائمين
على تخوم
وطني الكبير
أنا لا أزال ، هنا ، أغني الشمس محترقاً
أغني لا أزالْ .
والريح ، والعصفور في بيتي ينازع ، والظلالْ
سوداء ، تحجب عنكمو وجهي المخضب بالدماء
وليل إسرائيل وهو يقيء حقداً وانتقام
وعاهرين ومخبرين
أنا لا أزال، هنا أغني الشمس، في صمت وإصرار حزين
يا إخوتي المتحرقين
إلى النضالْ

٤ ـ المجد للأطفال والزيتون

المجد للشهداء والأحياء ، من شعبي
وللمتمزقين الصامدين
المجد للأطفال في ليل العذاب
وفي الخيامْ
المجد للزيتون في أرض السلامْ
وللعصافير الصغيرة وهي تبحث في تراب
حقلي ، وللجيش المرابط في حدود
وطني الكبير
ـ جيش العروبة والخلاص ـ
المجد للشعراء والكتاب ، أحباب الحياة
الخائضين ، اليوم ، معركة المصير
والضاربين يد الطغاة
المجد للمرضى على سرر البكاء
وللنساء الكادحات
الأمهات .

٥ ـ العـودة

اللیل تطرده قنادیل العیون
عیونکم ، یا إخوتي المتناثرین الجائعین
تحت النجومْ .
وکأنْ حلمت بأنني بالورد أفرش والدموع
طریقکمْ
وکأنْ یسوع
معکم یعود إلى (الجلیل)
بلا صلیب .

أصدقائي !
في حقول النور كنتم ، أصدقائي
كالعصافير الطليقة
كالينابيع العميقة
وأنا أبحث عنكمْ . أصدقائي
في حقول النور كنتم ، في انتظاري
وكأعمى قادني النجم إلى الباب المضاء
فالتقينا
وعلينا
من ندى الصبح لآلي
وتحدثنا قليلاً ، وافترقنا
والتقينا ، والليالي . . .
وملايين الفراشات تموت
في حقول النور ، عمياء ، تموت
وخطانا تقرع الأرض إلى الباب المضاء

* * *

أصدقائي في المصير
أصدقائي في عذاب الخلق والصمت المرير
الوداع الآن
فالساعة دقت، أصدقائي !

. . . وأدركَ الصباح ، شهرزادْ
فسكتت وعادْ
إليَّ نفس الحزن ، والشعور بالضياع
وأنت في حديقتي تسيرْ
يا سيدي الأمير !
منفرداً ، سعيد
تحلم بالأميرة الصغيرة الحسناء
في قصرها الوردي ، في أرجوحة الضياء
وهْي تغني أغنيات الهجر واللقاء
يا فارس الضبابْ
عرّج على قصري في السحاب
إني هنا ، وحيدة ، في الباب
من زهر الليمون واللبلاب
ضفرت إكليلاً لك ، الغداة
أموت يا فارسي الصغيرْ
إن لم تعد إليَّ ، يا فراشة تطير
في حلمي يا حبي الأخير
وأنت لا تغدو ولا تروحْ
كأنك التمثال ، لا تبوح

بما وراء الصمت من آفاقْ
يخاف من مجهولها العشاق

* * *

وهكذا ؛ يا أيها الأمير
يحترق القلب ، ولا يبقى سوى الرمادْ
وأدرك الصباح شهرزاد
فسكتت وعاد
إليَّ نفس الحزن ، والشعور بالضياع
وأنت في حديقتي تسيرْ
تحلم بالنافورة البيضاء
وبالعصافير وبالغدير
في ليلة مقمرة خضراء
ولا ترى وجهي الذي شوهه البكاء
وقلبيَ الكسيرْ
يسألك الرحمة والغفران
لأنني أحببت ـ والله على غرامنا شهيد
والأرض والإنسان ـ
وصيفة الأميرة الحسناء

* * *

حكايتي ، يا أيها الصغار
تمتْ ، وفي ليلتنا المقبلة القمراء
أروي لكم حكاية أخرى عن الصياد والعنقاء

مدينتي والغجر

مدينتي استباحها الغجرْ .
مدينتي أهلكها الضجر .
مدينتي ، القمر
يخاف من بيوتها المنفوخة البطون
يخاف من عيون
حاكمها الشريرْ
الميت الضمير
لكنه يحب في أحيائها الفقيرة السوداء
صبية عمياء !

* * *

مدينتي الحزينة الصماء
تخاف من حاكمها الشريرْ
الميت الضمير .
لكنما القمرْ
يحب في أحيائها الفقيرة السوداء
صبية عمياء
تؤمن بالفجر وبالإنسان
وترفض الإحسان
من عاشقٍ فقير

إلى إخواني الشعراء

يا إخوتي : الحياة
أغنية جميلة ، وأجمل الأشياء :
ما هو آت ، ما وراء الليل من ضياء
ومن مسرات ومن هناء .
وأجمل الغناء :
ما كان من قلوبكم ينبع من أعماق
شعوبنا الراسخة الأعراق
وأرضنا الطيبة الخضراء .
فلتلعنوا الظلامْ
وصانعي المأساة والآلام
ولتمسحوا الدموعْ
وتوقدوا الشموع
في وحشة الطريق للإنسان

* * *

يا إخوتي : الحياة
أغنية جميلة ، مطلعها الدموع والأحزان

أغنية إلى شعبي

أنا هنا ، وحدي ، على الصليبْ
يأكل لحمي   قاطعو الطريق والمسوخ والضباعْ
يا صانع اللهيبْ
يا شعبي الحبيب
أنا هنا ، وحدي ، على الصليب
يسطو على بستانيَ الصغارْ
ويرجم الكبار
ظلي الذي يبسط كفيه إلى النجومْ
ليمسح الهموم
عن وجهك الحزين
يا شعبي السجين
يا رافع الجبين
للشمس وهْي تطرق الأبواب
مخضوبة الثياب
أنا هنا وحدي أذود النعاس
عن عينك المتعبة
يا صانع اللهيب
يا شعبي الحبيب

عشتروت
ربيعنا لن يموت
ما دام عبر البحار
امرأة تنتظر
يا حبها المحتضر
ناديت من لا يعود
فضع بكفي القيود
وحطم الذكريات
وضع بقايا الرفات
في صدرك المقفل
على هوى مهمل
قبر الهوى الأول

* * *

حكاية المبدع :
يا أنتِ للضفدع
بمن تُرى تحلمين ؟
يا بنت جيلي الحزين
أنا وحيد ، سجين

في بئر نفسي اللعين
ألهو بما تجهلين

* * *

عشتروت
ربيعنا لن يموت
ما دام عبر البحار
امرأة تنتظر

ورفعت رايتك الصغيرة في طريق الطيبين
وهمست : « إني منكمو » .
ومضيت مرفوع الجبين
سغباً تغنّي الشمس، شمس ظهيرة الفجر القريبْ
ويداك، حباً، ترسمان حمامة بيضاء تحتضن الصليب
وغصن زيتون خضيب .
لكنها الأيام دارت والسنين .
فإذا برايتك الصغيرة في الوحول وفي طريق الميتين
وإذا ، « بأني منكمو !! »
تنصبّ في آذان أعداء الرجال الطيبين .

ـ إلى غابرييل بيري وعمال مارسيليا الصغار ـ

عمال مرسيليا الصغار
يا أيها المتألمون
أتسمعون ؟
أنَّات شعبي المستباحْ
وتمتماتْ
أطفاله الكسحاء و المتسولين
أتسمعون ؟
شعراءنا البسطاء إذ يتحدثون
عن السلام
وعن نضال
عمال عالمنا الجياع المتعبين

* * *

(غابرييل) يا عبق الربيع ويا نشيد الثائرين
ما زلت أذكر وجهك الصافي العميق
وقد تخضب بالدماء
ما زلت أذكر صمت مرسيليا المرير
وبنادق الفاشست مرعدة و(بيتان) العجوز
كالكلب يقعى تحت أقدام الغزاة

ما زلت أذكر والرفاق
وراء نعشك سائرون

* * *

ولربما يوماً سيقتلني البرابرة اللئام
في قعر مظلمة ، كما اغتالوك في وضح النهار
ويظل من بعدي وبعدك سائرين
عمال مرسيليا الصغار
نحو الغد النائي القريب

رسالة حب إلى زوجتي

عيناكِ من منفى إلى منفى تصبان الحريقْ
يا أخت روحي ، في عيوني ، في فضاء
صحراء حبي ، في عميقْ
جرحي ، الحريق
يا أخت روحي ، يا غرامي ، يا نداء
شعبي وأحلامي وبيتي ، يا عبيرْ
غابات (كردستان) في فجر مطير
عيناكِ قنديلان من ذهب ونار
حمامتي ! ذهب ونار
وجلنار
يتوهجان ، الليل ، في منفاي
في خضر الدروب
وفي ينابيع الجبال
وفي سهوبِ
وطني البعيد
حيث الربيع يموت محترق الشفاه
عريان ، والأطفال في أوراده يتدثرون
والخبز يُغمس بالدموع
وحيث آلاف الجباه

للشمس ترفع في تحد وانتصار
حمامتي ، يا أم طفلي ، في انتصار

* * *

وإليك غنيت الضحى والليل والغد والربيع
وهتفت : يا وطني
لعينيها أجوع
ولعين شعبي العامل ، الفلاح ، منتصراً أموت

بيروت ـ ١٠ آذار ٩٥٥

وعلى أبواب (مدريد) انتظرناك طويلا
ولعينيكَ ، رفيق الشمس ، خضَّبنا الحقولا
وافترشنا الأرض في أسواق (طهران) القديمه
وأكلنا الشوك والصبَّار في أحياء (شيكاغو) الدميمه
وانتظرناك ، وكنا
تحت رايات رفاق آخرينا
- يشبهونك -
نصنع التاريخ والحرْف ، وكنا
متعبينا .
يطلع الفجر علينا
شاحباً ، يشبه في اللون عيونك
يوم خضَّبنا حقول الرز في ليل العراق
بدماء الآخرينا
ولعينيك انتظرنا
في حقول الرز في ليل العراق
تحت رايات خضيبه
وبأسماء حبيبه
يطلع الفجر علينا
وتولي الظلمات

وتغني القبّرات
إنها الشمس التي من أجلها ناضل آلاف الرفاق
في الهُوى تشرق ، في ليل العراق
وعلى أبواب مدريد وفي أسواق طهران القديمه
وعلى الموتى، وفي أحياء شيكاغو الدميمه .
إنها تشرق في عينيك ، يا ضوء الصباحِ
ورفيقاً في السلاح
تحت رايات خضيبه
وبأسماء حبيبه

كانون الأول / ١٩٥٤

طوبى لكم ! طوبى لكم ، إننا
بقيّة عادت من المجزره
تعجن خوف الله أكبادها
خبزاً وفي أعماقها مقبره
بيوتنا ، آلامنا ، أمسنا
عائث به أيديكمو الخيِّره
نَسقي ولا نُسقى وخمّاركم
يشدّ في أرجلنا المعصره
يا طفل ! يا انسان ! يا هزأة
ما أعظم الإنسان ! ما أكبره !
كنتَ ، فكان الحبُّ ، لا أوحشت
أطلالُهُ ، ليلاتك المقمره
خطيئة ما برحت نارُها
تطلب من موقدها المغفره
لو عاد للعالم أمواتهُ
لاحتضنوا في أرضنا المزهره
ألفَ يسوع في جراحاته
مات لتحيا فكرةٌ نيِّره
الليل قد ولى ، ولما نزل

نهيم في أحلامه المقفره
يا اخوتي شدوا على جرحكم
إنا بلغنا آخر المسخره
الواحة الخضراء : لا تيأسوا !
لم يبق إلا دونها قنطره
دخان بيتي ، صوت أطفالنا
وأرضنا الحمراء ، والمقبره
حتى أبي ، بالدمع مخضلَّة
عيونه المطفأة المبصره

* * *

طوبى لكم ! طوبى لكم ! إننا
بقية عادت من المجزره

١٩٥٢

١ ـ الشعر والموت

الشعر في صمت المصحِّ بلا دموعْ
وبلا شموع
يموت في عيني كقديس شهيد
وعلى غطاء فراشي الدامي ، شعاع
من شمس أيلول ، تلألأ كالشراع
في عين بحَّار :
أيا أبواب ليل المستحيل
لا تنزعيني آه من حبي الجديد
فالطين في رئتي وفي فميَ الصديد
وعلى الوسادة مضغة سوداء من جسدي القتيل

٢ ـ سونيا والأسطورة

ويظل في ليل المصحّ الآخرون
بلا دموع يذبلون
على فراش من رماد
وتظل (سونيا) في أغاني السندباد
أسطورة تروى وأغنية تعاد
في وحشة الردهات ، في صحراء ليل الهالكين :
يا هودج الحب الحزين
أحبابنا رحلوا ، وما تركوا لنا غير الدموع .
والورد في بستان عالمنا يضوع
إلا أنا وحدي أموت بلا دموع

٣ ـ صانع العاهات

اللیل مسمار يُدق يُدق في صدري الصديع
يا صانع العاهات
والآهات ، يا نهر الصقيع
إخوانيَ الموتى ، أراهم يضحكون
في الليل ، في ليل المصح ، بلا عيون
إخواني المتثلجون
كنوارس حول السفينة يحلمون
بالبعث ، بالشمس الوضيئة ، بالربيع ،
بالأصدقاء الطيبين ،
بشوارع المدن الكبيرة ، بالسنين

٤ ـ أمـل

إني لأومن في غد الانسان ، في نهر الحياة
فلسوف يكتسح التفاهات الصغيرة والسدود
ولسوف ينتصر الغداة
إنسان عالمنا الجديد
على المذابح والخرائب والوباء
إني لأومن . . . رغم موتي في المساء
صديان في صمت المصح ، بلا صديق
وبلا يد تحنو عليَّ ، ولا رحيق ،
إني لأومن ، أيها الموت العنيد ،
بالفكر يعمر أرضنا الذهبية الخضراء ، بالفكر الجديد

٥ ـ سبارتاكوس

لا بد من روما ، وإن طال العذاب
يا أيها الشرفاء، يا فقراء شعبي الطيبين
الكادحين ، المبدعين ،
يا صانعي الثورات والتاريخ
مذ أحببتكم ، هتك الحجابْ
وتفتحت عيناي في قلب الضبابْ
على حراب
جنود روما يذبحون
أطفالكم ، يا إخوتي البسطاء
يا فقراء شعبي الطيبين

٦ ـ الرحيل

مناديل أعياد الطفولة في الوحولْ
وعليه من رئتيّ شيء لن يحول ،
شيء يقولْ : « غداً تموت »
يا مركبات النار
يا عربات أحزان الرحيل
لا تسرعي ، فالأرض في أعيادها ، لما تزل يا مركباتْ
جذلى ، يباركها بنوها القادمون
ولم يزل في ليلها الصافي الحنون
لنا نجوم تلتقي نظراتنا في ضوئها يا مركبات
لا تسرعي ! فأنا أحب أحب ساحرتي الحياة

وفي قريتي ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بساعده في دروب القمر

* * *

أيا قطرة من عبير
ويا وتراً من حرير
على سفح « حمرين » يا فتنتي[1]
ومعبودتي !
ليالي الشتاء الحزين
وصيحات أطفالك الشاحبين
وراء السحاب
حفاة ، عراة
تذكرني بعهود السراب
بعين أبي المطفأة
بطيف امرأة
مجللة بالسواد

(١) حمرين : من جبال شمال العراق .

وراء حقول الرماد
تذكرني بسيول الجياع
وهم ينبشون التراب
تذكرني بالمطر
يثير الفرح
مع الفجر ، في غابة السنديان
فترقص أكواخنا في الضباب
ويرقص حتى الحجر
لوقع المطر
مع الفجر ، في غابة السنديان

* * *

وفي قريتي ، كان أطفالنا
يغنون للأرض غبّ المطر
وكان الربيع يهز الحياة
بساعده في دروب القمر

ولدي الحبيب
ناديت باسمك ، والجليد
كالليل يهبط فوق رأسي ، كالضباب
كعيون أمك في وداعي ، كالمغيب .
ناديت باسمك
في مهب الريح
في المنفى
فجاوبني الصدى : « ولدي الحبيب »
والقاتلون
يحصون أنفاسي ، وفي وطني المعذب يسجنون
آباء إخوتك الصغار
ويبشِّرون
بالعالم الحرّ ، العبيد
وبمعجزات
دولارهم ـ أمل الشعوب ـ
وواهب الموتى ، الحياة
ويروّعون الأمهات
ويخضبون
رايات شعبك ، يا صغيري ، بالدماء

وأنت لاه ، لا تجيب

لاهٍ بلعبتك الجديدة ، لا تجيب

وعيون أمك في انتظاري ، والسماء

والليل في (بغداد) ينتظر الصباح

وبائع الخبز الحزين

يطوف في الأسواق ، والعميان والمتسولون

يستأنفون على الرصيف

تلاوة الذكر الحكيم

ووراء أسوار السجون

يستيقظ الشعب العظيم

محطماً أغلاله ، ولدي الحبيب

وأنت لاهٍ لا تجيب

* * *

الريح في المنفى تهب ، كأن شيئاً فيَّ مات

إني أبارك ، يا صغيري رغم قسوتها، الحياة

فأنا وأنت لشعبنا ملك ، وإن كره الطغاة

وجرحت إحساسي
يا أيها المتحجر ، الناسي
بحديثك القاسي
عن عقديَ الماسي
عقدي المزيف
أيها القاسي !
ونفذت كالفأر المريض ، إلى
نفسي تُعرّيها
كنسناس .
لا شيء ، غير صبية ، فجعت
بك يا جبان
بعقدها الماسي .
وحجبت عاري عنك ، يا حلمي
عن أختيَ الصغرى
عن الناس
وكتمت أنفاسي
خوفاً ، من الجيران أنفاسي
فالعقد من دولاب ، سيدتي
سرقتْه أمي
أيها القاسي .

عينايَ في عينيك ، يا وطن العقيدة والكفاح
والنار في قلبي ، وفي يديَ السلاح
أحمي حدودك من صغار النحل
يا وطن الأقاح
وأنا أغني ، والجراح
صبغت سماء مدينتي .
ـ « طلع الصباح !»
يا إخوتي
طلع الصباح
وعلى نوافذ بيتنا ، كان الربيع
طفلاً يغني ، والسماء
حمراء مثل سماء روما ، يوم أحرقها عذاب
(نيرون) ، مثل الحب يأبى أن يبوح
مثل المسيح على الصليب
وأنا أغني ، والسحاب
يخفي ذرى (حرمون) عن عيني
وفي يديَّ السلاح
والنار في قلبي ، فَهُبِّي يا رياح
وليُمعن الجلاد في قتلي ، فحبي لن يموت

ما دام لي كوخ على (بردى) ولي أبداً رفاق

* * *

للكادح العربي في عينيك
تاريخ طويل للنضال
أقوى من الأوغاد ، يا وطن الرجال

١٩٥٥

ألا يا قطار الشمال البعيد
إلى شرق برلين ، عجل بنا
فعما قليل يشق السماء
هتاف الجماهير : « إنا هنا »

* * *

وغاب رصيف القطار
ومنديلها لم يزل في يدي
وسروتنا تصنع الأغنيات
عصافيرها بانتظار الغد
وأنات إخوتي الجائعين
وشعبي الحزين
تلاحقني
يا رفيق النضال
طوال الليال
وفي وطني يقتلون الرجال
ويطفيء في أعين الأمهات
بريق الحياة
طغاة صغار

ويحجب عنا ضياء النهار
بألف جدار
ونحصى على الشعب حتى الدموع
ويسكت بالنار صوت الجموع

* * *

ألا يا قطار الشمال البعيد
إلى شرق برلين ، عجل بنا
فعما قليل يشق السماء
هتاف الجماهير : « إنا هنا »

بالموت ، بالكونية الأخرى
بأسمال الجنود
بالنار ، بالطاعون ، بالدم والحديد
أختاه كانوا يحلمون
كما حلمنا نحن يوماً باللقاء
على طريق
(أزمير) في أمسية من أمسيات
آذار ، تحت الزيزفون

* * *

لكنهم مني ومنك سيهزأون
لأنهم لا يحلمون
إلا بأسمال الجنود
ومعسكرات الاعتقال
والنار والطاعون والدم والحديد
وسيسخرون
من حبنا ، أختاه
من أطفالنا ، مما نريد
ويجعلون

منا طعاماً للمدافع والسجون
ويسلخون جلودنا ، وسيصنعون
منها فراء للعواهر والقياصرة الصّغار
لأنهم - واخجلتاه -
كلاب صيد ، في دم الأطفال
في الدم يحلمون

* * *

أختاه . . إن ساعي البريد
ضلّ الطريق
يوماً إليّ ، ولم يجد إلا الجليد
والريح والموتى وأسمال الجنود
فلا تعودي تحلمين
فالشمس للأحياء
تشرق مرة في عصرنا هذا
وتجنح للمغيب

ثلاث أغنيات إلى أطفال وارسو

(١)

عندما يحلم عمال بلادي
بك ، يا ذات العيون الذهبية
أسمع الشمس تغني في فؤادي
وشراع السندباد
في البحار الأسيوية
أبداً تنفخ فيه الريح أنشودة حب
لك يا وارسو بقلبي
قوس نصر ، شاده بالدم ، عمال بلادي

(٢)

آه يا أطفال وارسو ، أغنياتي
باقة حمراء ، من أطفال شعبي
لكمو ، للأمهات
للملايين هدية
من بلادي العربية
من بلاد الشمس ، من أعماق قلبي
إنها تذكار حب
لكمو ، أطفال وارسو ، من بلادي العربية

(٣)

ليت لي ـ يا أيها القلب الأسير ـ
مثل أشعاري ، جناحين ، الى وارسو أطير
مثل عصفور على أبوابها الخضر أغني
في الضحى ، في فرح الطفل الأغنّ
وأجوب الطرقات
عاشقاً ألقت عصا الحب به في دنيوات
كل ما فيها عبير وضياء
وفراشات وأطفال من الجنة جاؤوا

١٩٥٥

ـــــ أغنية انتصار الى مراكش وتونس والجزائر ـــ

باسم أبطالك ، يا خيمة أفريقيا ـ النجوم
والأقاحي والكروم
والعصافير الصغيرة
والهوى والأرض والإنسان ـ يا شمس الظهيرة
باسمهم غنيت ، غنوا للسلاح
للعيون المغربية
في الخيام العربية
تتحدى الموت في « اوراس » في ليل الجراح
باسمهم غنيت ، غنوا للصباح
وشربت الخمر من عينيك
يا حسرة ميلاد قصيدة
في ليالي شاعر حز وريده
في حديد السجن ، في « وهران »
في أعماق « وهران » البعيدة
في أماسيها الكئيبة
يا دماً سال على أبيات « ايلوار » الحبيبة
شاعر الحب الذي بالأمس غنى في الطريق
للنجوم الزرق، للأطفال :
« ايلوار صديقي »

إنهم أعداؤه الفاشست عادوا من جديد
يصنعون الليل والمأساة في الفجر الوليد

* * *

لك ، يا نافذة في ليل افريقيا « السلام »
ولك النصر
وللفاشست « الموت الزؤام »

١٩٥٥

حين تنمو الكلمات الطيبة
في قلوب البسطاء
كالبكاء
تشرق الشمس على أسوارك المنتحبة
وتطير الأغنيات
كالسنونو فوق أرض المعركة
يا قميص الدم
يا ثورتنا المشتعلة
يا قناديل حياة مقبلة
يا شعارات رفاقي الظافرة
لك قلب القاهرة
لك ـ مذ أيقظه الحب ـ يغني
للملايين الحزينة
وهي تصحو ـ بغتة ـ من نومها
وتروّي أرضنا في دمها
أرض « زهران » ومبكى « أم صابر »
ووشاحاً أحمراً للنيل ملقى فوق شاعر
حطمت قيثاره بالأمس أيدي الغجر
ورياح الضجر

يوم كان الفن يستجدي على أبواب « كسرى »
خجلاً عريان ، لا يملك أمرا
غير أن يبكي ويبكي
بين ماخور وملك

* * *

لك يا أرض الأسى والمعركة
والهوى والكلمات الطيبة
ولأبنائك حبي

١٩٥٦

في المعركة

وكانت شعاراتنا كالسماء
مخضبة بدماء الرفاق
وكنا نطالب باسم الصغار
وباسم الحياة
وباسم العراق
نطالب بالأرض للكادحين
وبالخبز والملح للجائعين

* * *

وكان رفاقي الصغار
ـ ورود الغد اليانعات ـ
وراء الجدار
يموتون تحت سياط البغاة
وفي الغرف الموحشات
وقد أسدل القاتلون الستار
على سخريات
محاكم تفتيشهم ، يا رفيق

* * *

وظلت شعاراتنا في الطريق
وفي أغنيات
شبيبة بغداد والأمهات
ترفرف في أمل وانتظار

أغنية زرقاء إلى فيروز

افتحي النافذة الزرقاء للشمس
فأحلى أغنية
في حكايات بلادي
خضبت ، وهي تجوب الأودية
بدم البلبل ، أوتار المغني :
يا عبير الأودية
في ربيع الأغنية .
افتحي للشمس ، بوابة سجني
ليرى العالم جرحي
صامتاً ، كالليل ، في صحراء ملح .
ليرى العالم شعبي
صامداً في وجه أعداء الحياة
رائعاً كالأغنيات
حاملاً ، كالأرض ، في أحشائه ، بذرة خصب
مثقلاً بالورد والأثمار في ليلة حب
إنه أغنيتي الأولى وزادي وصباحي
وعزائي في الكفاح
ورفيقي في السلاح
إنه شعبي ، فحسبي

يا عبير الأودية
في ربيع الأغنية
افتحي للبلبل
في طريق الجبل
كوّة في الأغنيات
ليرى العالم منها صرخاتي

*   *   *

إنها رحلتنا في عالم الإنسان عبر الكلمات
فافتحي الكوة ، للشمس ، وغني للحياة

١٩٥٦

عيناك في ليل الخريف الى المدى تتطلعان
ماذا وراء الربوة الحمراء غير السنديان
وسحائب تبكي ومدخنة وحان
تبني لأمر ما على شباكه عصفورتان
عشاً من الدم والدخان
وأنت كالحلم المسجّى ، ذابل ، دامي الجنان

* * *

يا صامتاً ، والريح تعول في الظلام
إنطق ولو حرفاً ! وما جدوى الكلام ؟
إن هوَّم الساقي وعربدت المدام
وتجاوبت دقات أجراس الحمام
في هوة الأبد السحيق ، وأنت مبتسماً تنام
وعلى جبينك ، يا رفيق الفجر ، فجر من سلام

* * *

يا صامتاً ؛ والسنديان الشاحب المقرور تجلده الرياح
وصديقك الحسّون قد ألقى السلاح
متخضباً بدم الجراح النجل ، مقصوص الجناح
إنطق ولو حرفاً ، لعل الكأس تلمع فيه راح

ولعل حادي الموت يشفق أن يرى هذي الجراح
تشفى ولا يشفى حنين في عيونك للصباح

* * *

الشمس تشرق ، والخريف على الهضاب
يلم أذيال السحاب
والسنديان تناثرت خصلاته فوق التراب
وصداح قبّرة كأنْ قيثارة في قلب غاب
وكأنْ تخطت ألف باب
قــدمــاك في ليل الخريف ، وعاد للأرض الشباب

كانون الأول ـ ١٩٥٤

أشعار في المنفى

الملايين التي تكدح لا تحلم في موت فراشة
وبأحزان البنفسج
أو شراع يتوهج
تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيفِ
أو غراميات مجنون بطيفِ
الملايين التي تكدحُ
تعرى
تتمزق
الملايين التي تصنع للحالم زورق
الملايين التي تصنع منديلا لمغرم
الملايين التي تبكي
تُغني
تتألم
في زوايا الأرض ، في مصنع صُلب أو بمنجم
إنها تمضغ قرص الشمس من موت محتّم
إنها تضحك من أعماقها
تضحك
تغرم
لا كما يغرم مجنون بطيف

تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة صيف

* * *

الملايين التي تبكي

تغني

تتألم

تحت شمس الليل باللقمة تحلم

الموت في الظهيرة

الى العربي بن مهيدي الزعيم الوطني الجزائري الذي قتله البرابرة الفرنسيون في زنزانته في السجن .

قمرٌ أسودُ في نافذة السجن ، وليلُ
وحمامات وقرآن وطفلُ
أخضر العينين يتلو
سورة « النصر » وفلُّ
من حقول النور ، من أفق جديدِ
قطفته يد قديس شهيد
يد قديس وثائر
ولدته في ليالي بعثها شمس الجزائر
ولدته الريح والأرض وأشواق الطفولة
وعذابات ربيع في خميلة
وانتصارات وحمّى وبطولة
وحمامات وقرآن وليل
صامت يمسح عن كفّيه آثار الجريمة
قمر أسودُ
آثار الجريمة
وعلى الجدران ظل

يتدلى رأسه ، يسقط ثلج
فوق عينيه وترب وجنادل
فوق عيني ذلك الطفل المناضل

* * *

كان في نافذة السجن مع العصفور يحلم
كان مثلي يتألم
كان سرا مغلقا لا يتكلم
كان يعلم :
أنه لا بد هالك
وستبقى بعده الشمس هنالك
في ليالي بعثها شمس الجزائر
تلد الثائر في أعقاب ثائر

الربيع والأطفال

كأعين الموتى ، على طريق
بغدادَ
كانت أعين الأطفال
تبكي وتبكي :
إنه الربيع
عاد إلى بلادنا
عاد إلى الحقول
بلا فراشات ، بلا أوراد .
وفي بلادي يصنعون الخمر من دموع
أمواتنا، ومن دم الأطفال
ويصلبون الشمس في ساحات
مدينتي الموصدة الأبواب
مدينتي   بغداد
بلا أراجيح ، بلا أعياد
تستقبل النهار فيها أعين الأطفال
فلا تقولي : إنه الربيع
عاد إلى بلادنا
عاد إلى الحقول
يدفن موتانا بلا أوراد

بلا فراشات

بلا دموع

ويمسح الدماء عن جباه

أطفالنا ويصبغ السماء

بلون عينيك

بلون النار

والعذاب

* * *

يا بذرة في ظلمة الجليد والرماد

تدوسها الأرجل في بلادنا

تدوسها الذئاب

تمخَّضي فراشةً ووردةً وغاب

موعد في المعرّة

والتقينا في المعرة
وعلى بردتك البيضاء زهرة
وغمامة
تمطر الأرض التي غنيتها
تمطر قطرة
تلو قطرة
وحمامة
تتغنى في بساتين المعرة :
صاحِ هذي أرضنا من ألفِ ألفٍ تتنهد
وعليها النار والعشبُ
عليها يتجدد
صاحِ إنّا
أبداً من عهد عاد نتغنى
والأقاحي والقبور
تملأ الأرض ، ولكنا عليها نتلاقى
في عناق أو قصيدة
مثل أطفال نغني ، نتساقى
خمرة الحب الذي أبلى جديده
إننا نذبل كالورد

ونحيا في قصيدة
مثل أبطال الأساطير التقينا في المعرة
زهرة تعقب زهرة
صاح إنا لم نعد مخلب هر
لم تعد أشعارنا
مخدع عهر
للسلاطين ، ولا باقات زهر
لم نعد محض نفايات وصفر
نعصر الخمر إلى الأرباب من دهر لدهر

* * *

يا رهين المحبسين
قم تر الأرض تغني ، والسماء
وردة حمراء ، والريح غناء
قم تر الأفق مشاعل
وملايين المساكين تقاتل
في الدجى من أجل أن تطلع شمس

أبي في طريق الشمس

عاد من الشرق مع الشمس
يمسح في أهدابها بؤسي
نظرته ، ضحكته ، وجهه
وجه صبي مرهف الحسِّ
أعوامه السبعون زيتونة
عزّت على الحطاب والفأس
الشعرات البيض في رأسه
تنبىء عن حرائق الأمس
والمطر العالق في جفنه
سحابة تمطر في نفسي
حقل من الورد، عليه الضحى
مر ، ومرت قدم الشمس
عيون أمي وهي مبتلة
تذود عنه النحل في يأس
يا رحمة الله على عالم
يضج في قلبي وفي رأسي
لم يبق منه غير زيتونة
وخمرة تجف في كأس

* * *

عاد أبي فالأرض مزهوة
به وقلب الحقل في عرس

بغداد يا مدينة النجوم
والشمس والأطفال والكروم
والخوف والهموم
متى أرى سماءك الزرقاء ؟
تنبض باللهفة والحنين
متى أرى دجلة في الخريف ؟
ملتهباً حزين
تهجره الطيور
وأنت ، يا مدينة النخيل والبكاء
ساقية خضراء
تدور في حديقة الأصيل
متى أرى شارعك الطويل ؟
تغسله الأمطار
في عتمة النهار
وأعين الصغار
تشرق بالطيبة والصفاء
وهم ينامون على الرصيف
متى أرى شعبيَ ! يا مدينة النجوم
والشمس والأطفال والكروم

وهو يسد الأفق بالرايات
ويصنع الثورات
يا طفلة عذراء ، يا مصارع الطغاة
وموطن العذاب والعراة

* * *

يا وطني البعيد
لأجل عينيك أنا شريد
لأجل عينيك أنا وحيد
في هذه الدوّامة السوداء
في هذه الأنواء
متى أرى سماءك الزرقاء
ووجهك الصامد ، يا مقبرة الأعداء

بضحكته الحلوة
ينير الطريق إلى ضيعتي
ويتركني ههنا
أغني لوحدي احتضار السنا
أغني أنا
غنائي ابتهال
غنائي قُبل
وميلاد حب وفجر أمل
غنائي صلاة إلى السنديان
إلى قاطفات الكروم الحسان
إلى قبَّرة
إلى ليلة مقمرة
تعال حبيبي ، فإن الرياح
وثلج الصباح
يغطي الحقول ، وأنت هناك
بجبهتك العالية
على الرابية
أميرٌ صغيرٌ
إلهٌ
ملاك
ينير الطريق إلى ضيعتي
بضحكته الحلوة

أغنية جديدة إلى ولدي علي

كناريَ الصغير
وجهك ـ والسماء
تمطر في منفايَ ، في مدينتي
يبرق في عيون
أمك ، في واحات
ليل عذابي الدامس الأخير
يبرق في غابات
« لبنان » في أنات
فؤوس حطابيه ، في موال
راعية تشعل في الجبال
غرامها الليال
يبرق في دموع
أمك ، في أبيات
قصائدي الخضراء
في صورة العذراء
يبرق في بغداد
ـ وهي تغني الحب والسلام
ومدية الجلاد
في صدرها تغور ـ في عيون

عرائس الأطفال واليمام

*　*　*

قالت ليَ الأسوار:
أن أنساك أو أموت
فالحب لا يشفيه إلا الحب
والسكوت
أولى بهذا القلب ، والسماء
تمطر في منفاي
في مدينتي
وحيث لا جديد
منك ، ولا بريد

*　*　*

هديتي اليك
كناريَ الصغير ، قبلتان
فَمُدَّ لي يديك
رغم سجون الأرض ، لي يديك
فإنني حزين
تمطر في قلبي ، وفي مدينتي السماء

صلاة لمن لا يعود

طوال ليالي البكاء
ليالي السهاد
ليالي الرماد
أصلّي
أنادي
حبيبي تعال
فإن العصافير في الظلمةِ
وجنية الغابة
تؤرقها ، يا أميري الصغير
مواويلك الحمر ، والساقية
وحبي الطريح على الخابية
تؤرقها أغنية
تولول في الأودية
تعال حبيبي ، فإن الظلال
وريح الشمال
ستطفىء لي شمعتي
وترحل عن ضيعتي
مخلفة في المساء
وفي ظلمات البكاء

خيال صبيّة

تصلي

تنادي

حبيبي تعال !

والتقينا ، يا دمشقُ
وعلى معطفك الأخضر ثلجُ
وعصافير وغابات ووردُ
وبحار لا تحدُّ
أنت فيها ، يا بساط الحب ، موجُ
ومناديلٌ وشوق
وبعينيك من الصحراء شمس
فوق بيتي الموحش البارد ترسو
فوق غاب السوسن
في براري وطني
حيث لا أملك إلا كفني
حيث فأسي
أبداً تحفر في أعماق نفسي
آه لو تنفجر الأحرف بركان قصائد
لتقحّمت جدار الليل
علقت المشانق
مثل جندي من الجبهة عائد
مثل طائر
عاد من أرض الجزائر

وتهالكت على أرضك في شوق أعانق
كل ما أعبد فيها وأحبُّ
وعلى معطفك الأخضر غابات وسحبُ

* * *

كانت الأحرف في نفسي تناضل
وتغني في لياليها قوافل
من قوافٍ ومقاطع
كنت جائع . .
كنت في معركة الخلق أطالع
وجهك الحلو ، فأنسى يا دمشقُ
غربتي
وحشة أيامي
عذابي
وأنا أقتحم التاريخ من باب لباب

الزنبق والحرية إلى ولدي سعد

عصفور أزرق
في قفص من زنبق
غنّى أغنية
غنّى الحرّية :
يا قمري الأخضر
يا حبي الأول
يا جدول
ينعش صحرائي
يا وطني النائي
يا قمري
يا ولدي الأصغر

* * *

الليلة أحبابي
الواحد بعد الآخر
طرقوا بابي
أحبابي
لكنك يا ولدي
كنت الأوحد

في ليليَ الأسود
قمراً أخضر
والعصفور الأزرق
في قفص الزنبق
مكسور القلب يغني
يا قمري
يا ولدي الأصغر

بور سعيد

على رخام الدهر ، بور سعيد
قصيدة مكتوبة بالدم والحديد
قصيدة عصماء
قصيدة حمراء
تنزف من حروفها الدماء
تهدر في رويِّها المنتصر الجبار
صيحات فجر الثار
تطل من أبياتها بنادق الأنصار
وأعين الصغار

* * *

على جبين الشمس ، بور سعيد
مدينة شامخة الأسوار
شامخة كالنار
كالإعصار
في أوجه اللصوص
لصوص أوروبا من التجار
من مجرمي الحروب
وشاربي الدماء

عبر جدار الموت ، بور سعيد
صامدة كالبحر
لا تنام
يخوض في ساحاتها السلام
معركة الحياة
تحرسه بنادق الأنصار
وأعين الصغار

الريح والغربان تنقر في عيونك والدماء
صبغت حصى الوادي
وكفك للسماء
مرفوعة للنجم ، للأفق البعيد
وجناح نسر في الفضاء الأزرق النائي يموت
يموت في عينيك
والغربان تنقره
يموت
وكلابهم تعوي وقاتلك الجبان
خزيان يمسح عن حصى الوادي الدماء
ويقبّل النصل الذي أرداك في لؤمٍ
ويجهش في البكاء
وكمن يقول ، كمن ، إلى اللص احترس !
ولسيد البيت الحذار !
صلّى عليك وسار لا يلوي على شيءٍ
وأمعن في الفرار
والريح والغربان تنقر في عيونك والفضاء
نعش بلا وردٍ
وتابوت يجر بلا غطاء

ووراءه تعوي الكلاب
كلابهم
تعوي الكلاب

* * *

يا آكلاً لحمي ولحم أخيك حياً
يا خيوط العنكبوت
يا آكلي   إني أموت
من أجل أن أهب الحياة
إليك إني ، يا خيوط العنكبوت
إني أموت
من أجل أن أهب الحياة
للآخرين

من أجل الحب

من أجل أن نضحك للشمس
على شواطىء البحار
ونجمع المحار
ونقطف النرجس من حدائق النهار
من أجل أن تصمد في وجه رياح الليل والأمطار
بيوتنا الحالمة الأزهار
من أجل أن نكتب في جمال عيني أرضنا الأشعار
ونقطف الثمار
من ألف بستان وأن تجمعنا ـ مهما اختلفنا ـ دار
من أجل أن ينهار
ليل الطواغيت
وأن تنتصر الحياة
غنيت للحب
وللسلام
والصغار
يا إخوتي الكبار

أعدني إلى وطني

إلهي أعدني
إلى وطني ، عندليب
على جنح غيمة
على ضوء نجمة
أعدني فُلة
ترف على صدر نبع وتلة
أغني الشروق
أغني المغيب
أغني الربيع
أذَوِّب في حرقاتي الصقيع
صقيع ربيع بلادي ، الحزين
ربيع الإله السجين
أغني البراعم
أنا لست حالم
إلهي أعدني
إلى وطني ، عندليب

واغرورقت عيناه بالدموع
وقال لي :
يسوع
بالأمس مرّ من هنا ، يسوع
صليبه غصنان أخضران
مزهران .
عيناه كوكبان .
طلعته حمامة . مِشيتُه أغان .
بالأمس مر من هنا
فأزهر البستان
واستيقظ الأطفال ، لا أحلى
وفي السماء
كانت نجوم الليل
كالأجراس
كالصلبان
غرقى بدمعي كانت الأحزان
طريقنا للحب و النسيان
وأرضنا الخضراء في مخاضها
مثخنة الجراح

تحلم بالزنبق والصباح
تحلم في ألف يسوع سوف يحملون
صليبهم في ظلمة السجون
وسوف يكثرون
وسوف ينجبون
ذرية تزرع أرض الله ياسمين
تصنع أبطالاً وقديسين
تصنع ثائرين

* * *

وابتسمت عيناه كالصباح
واستيقظ الأطفال ، لا أحلى
وفي السماء
كان ملاك أخضر الجناح
يفتح باب الليل في مصباح

لا تخجلْ !

لا تخجل !

يا حبي الأول

يا صيحة

أطلقها طائر

في ليل المنفى

وهو يموت

لِمَ أنت حزين ؟

سنوات التكوين

سنوات الفرحة

والعالم يُولد في لمحة

في وجه أبيك الشاعر

الثائر

فتحت باباً للدمعة

ولفجر تغمره اللوعة

* * *

صيحات الفقراء

فقراء بلادي

في باب القيصر
في الفجر الأحمر
كالصخرة ، كالقطرة
في بحر الثورة
تقتحم التاريخ
يا حبي الأول
لا تخجل !
سنوات المنفى
علّمت الطائر
وهو يموت
أن يبقى حرا
ينتظر الفجرا

* * *

ما أوحش ليلات
والديك المعدم
في أعلى السلم
في وهج العتمة
في القمة
ما أجمل أن نوقد شمعة
في الظلمات
أن نحيا في فرحة
والعالم يولد في لمحة
في غنوة

صادقة حلوة

* * *

يا حبي الأول

يا ولدي

لا تخجل !

يوم دخلت في الضحى
حديقة الليمون
أمطرت السماء عطراً
أمطرت شجون
واستيقظ البلبلُ
يا أميرتي
والتقت العيون
وأورقت غصون
ورن صوت دافىء حنون :
موعدنا غداً ، هنا
ومرت السنون
وخلّف البلبل
يا أميرتي
وأورقتْ غصون
جديدة ، وانتشر الطاعون
في حيِّنا ، وامتلأت سجون
مدينتي بالناس
وامتدت يد المنون
إلى ربيعي الأسود الحالم في حديقة الليمون

وأخمدت أنفاسه
وأخمدت لحون
قيثارة السكون

* * *

موعدنا غداً ، هنا
ومرت السنون
لكنني أفقت يا أميرتي
من غمرة الجنون
ولم أعد أجتاز في رأد الضحى
طريقنا الواغل في مجاهل الظنون
فالنار في مدينتي امتدت إلى حديقة الليمون

... وتمزّقتُ وقاتلتُ طواحين الهواءِ
وامتطيتُ القمر الأسود مُهراً
عبر صحراء غنائي
وصنعتُ الشعر من آلام أهلي الفقراء
ثم ماذا ؟
هذه أنت حزينة
تمضغين الثلج والأوراق في ليل المدينة
تلعنين الموت بالجهر ، وسراً تعشقينه
تلعقين الدم من قلبي
وتبكين حزينة
ثم ماذا ؟
هذه أنتِ وهذا ما ترينه
هذه أنت بحيرات سهادٍ
وسهوب من رماد
أبداً يذرعها
فارسك الميت في وهج الظهيرة
درعه بالدم مصبوغاً
وبالحبر أياديه الصغيرة

عينه نجمة صبح غرقت عبر ضفيرة

*   *   *

أنت يا ناسجة الأكفان في وهج الظهيرة
فارسي مات على دين الملايين الفقيرة
مات في أرض غريبة
مات ، لم تُعول على تابوته الأصفر ،
لم تعول حبيبة

على أبواب « طهرانَ » رأيناه
رأيناه
يغني .
عمر الخيام ، يا أخت ، ظنناه
على جبهته جرح عميق ، فاغر فاه
يغني ، أحمر العينين
كالفجر ، بيمناه
رغيفٌ
مصحفٌ
قنبلة، كانت بيمناه
يغني ، عمر الخيام ، يا أخت
حقول الزيت والله
يغني طفله المصلوب في مزرعة الشاه .
وكان الموت أواه
على مقربة منه ، على أطراف دنياه .
ونادانا وناداه
صياح الديك ، أختاه !
وخلّفناه في الساحة ، لا تطرف عيناه
ـ « وداعاً ! »

قالها ، واختنقت في فمه الآه .

ـ « وداعاً ، لك يا طهران

يا صاحبة الجاه

وداعاً لك يا بيتي

وداعاً لك أماه »

ودوّت طلقة ، واختنقت في فمه الآه

* * *

على أبواب طهران رأيناه

يغني الشمس في الليل

يغني الموت والله

على جبهته جرح عميق ، فاغر فاه .

حبيبتي ، وأنت تبحرين
إلى بلاد الخبز والسلام والنسرين
صلّي لأجلي
إنني حزين .
أصنع أقماراً من التراب
أهيم في شوارع المدينة الموصدة الأبواب
أدفن في كتاب
رأسي .
وأستغرق في الغياب
لعل ، يا حبيبتي ، سفينة النجاة
تلوح في العباب
وأنت ، في مقدمها ، حمامة بيضاء
تحمل في منقارها زنبقة حمراء
تحمل لي هدية ، خطاب
من أم جنديٍّ
فأستغرق في قراءة الخطاب
رائحة الأمطار في حروفه
رائحة الأعشاب
من بحر قزوينَ ومن مناجم الأورال

من كوخ صياد على التلال
يقرأ في ديوان شعر أخضر الغلاف
تصوري ! الأصداف
والموج والطيور والانسان
تنبض في ديوان
ديوان شعر أخضر الألحان
في كوخ صياد على التلال .
حبيبتي ما أجمل الليال !
وأنت في صفائها ملاك
يحملني طفلاً إلى هناك

* * *

حبيبتي ، وأنت تبحرين
إلى بلاد الخبز والسلام والنسرين
صلّي لأجلي
إنني حزين

يوميات سياسي محترف

وشددتَ جرحكَ ، فالعذابُ هو الطريق إلى الخلاص
وعرفتَ معنى أن تكون ، فلا مناص
الليل يوغل في البيوت
وفي الشوارع من جديد
الليل يهبط مرةً أخرى
ويهبط في المحطات الجليد
مرّ القطار ؛ وأنتَ في عرباته طاوٍ وحيد
نحو الربيع ، ونحو شمس بلادك الحمراء ، يا قلبي ،
تسير على الصقيع
عُريانَ ، ها أن الذئاب
تعوي مع الموتى
وها أن الطريق إلى العراق
سدّتهُ قطعان الذئاب
سدّتهُ ، يا قلبي ، وأنت على مخالبها تسير
عريان ، محترقاً ، كبير
. . . والنابحون تمزقوا
كضفادع النهر الصغير
باعوا الضمير
رقصوا على شتى الحبال

صنعوا قباب
من حبةٍ ، لكنها شمس العراق
طلعت عليهم
أحرقت تلك الحبال
النابحون ـ وأنت فوق حضيضهم
نسرٌ يطير ـ
نبحوا وغصوا في النباح
دُحروا ، وعادوا للمزابل والجحور ، فيا رياح
هُبِّي ! ويا قلبي المُعرّى في الصقيع
شد الجراح على الجراح
ففي غدٍ يأتي الربيع
عبر المحطات الصغيرة والليالي والعذاب
عبر الضباب

* * *

النابحون تمزقوا
كضفادع النهر الصغير

١٩٦٤

الليل والمدينة والسل

في ليالي الموت والخَلْق ، وفي الأعماق
أعماق المدينة
لم تزل كالهرة السوداء
كالأم الحزينة
تلد الأحياء
في صمت ، وأعماق المدينة
تبصق الموتى على الأرصفة الغُبر السخينة
في ذراع الليل
ليل السل ، كالأم الحزينة
لم تزل تبصق آلاف المساكين .. المدينة
في مقاهيها ، وفي حاراتها السود اللعينة
وعلى أشجارها الصُفر الدميمة
يُولد الخوف ، كما تُولد في أعماقها السفلى الجريمة
ومقاهيها القديمة
وأغانيها الأليمة
والمساكين وليل السل والأخيلة السود اللئيمة

* * *

لم تزل كالهرة السوداء
أعماق المدينة
تُرضع الأحياء من ثدي الأمومة .

١٩٥٢

يوميات سياسي محترف

« هذه اليوميات صورة طبق الأصل لحياة وأفكار سياسي محترف كان يدعي الثورية ، قابلته في سنوات النفي والغربة ، ولكنه لم يلبث أن تداعى وسقط وانتهى وباع نفسه » .

- ١ -

أخرج للجمهور
لسانه ، وبحلقت عيناه في السطور
واعتدل الخطيب في وقفته ، ومالَ نحو النور
وارتفعت يداه كالهراوة السوداء
فوق رؤوس الجالسين العُور
ومال نحو النور
ثانيةً ، وهزّ في استعلاء
كان اللئيم يمضغ السطور
كان اللئيم ثعلباً مغرور
مثلي أنا الجمهور
وددت لو سحبتُه من أنفه المكسور
ليُضحك المستمعين العُور

ليُخرج الحيّات

من كمه ، ليطلق الصيحات

كان « . . . » واحداً ومات

لكنه ، يُبعث في هذا اللئيم الثعلب المغرور

يُبعث في نباحه المحرور .

وددت لو صفعتُه ، صفعتُ هذا الأبلَهَ الجمهور

غرقت في الوحل ، عليكم لعنتي

غرقت في مستنقع مهجور

هذا أنا سكرانٌ في مدينة ميتة الجذور

عقارب الساعات للوراء عادت

وقع المحذور

فالثعلب المغرور

يسقط تحت قدم الجمهور

- ٢ -

مرآة نفسي ، أيها الماخور

هذا سلاحي ، هذه بطاقتي

أُلقي بها في بابك المنوّر المسحور

وجدت في عينك أمسي الضائع المهدور

عشرة أعوام من الحرمان في غياهب الديجور

وراء ألف حائط وسور

ضاعت سدى

وها أنا أزحف نحو النور

وفي يدي حز القيود وجراحات الهوى المقبور
شبابيَ الضائع منْ يرده إليَّ ؟ يا مرآة نفسي
أيها الماخور
روما تنامُ
وعيوني أبداً تبحث في المرآة
عن طائر الشباب ، عن فراشةٍ ، فتاة
فلم أعد أقنع بالفُتات
فافتح ذراعيك ، وضمّ هذه الجراح
وليصفق الجناح في الجناح
وليَدُرْ المفتاح
وليقبل الشتاء
ولتغمر الثلوج هذي الظلمة الخضراء
فالموت في أحضانك الدافئة الشماء
أحلى من الصهباء
فلتُحرق الجسور
وليقع المحذور

- ٣ -

إذا أردتَ أن تغش فاختر الضحية
ولتحذر الصديق
والزوجة الوفية
أقولها من كل قلبي لكَ يا رفيق
لأننا في خدمة القضية

أقولها من كل قلبي ، وعليكَ أنتَ بالبقية
إلى صباهُ الشيخ لا يعود والبلية
أن يـسلم الورد ويفنى الشوكُ في حرائق العشية
فلتُزرع الأشواكُ في حدائق الأعداء
ولتقطع الألسنة الخرساء
وليُمنح الأحياء
عدالة وهميةً عمياء
والسم والحشيش والصهباء
وليُصنع الفردوس من أحذية النساء
طابورنا الخامس في كل مكان يزرع المخاوف
ويركب السلاحف
إلى الغد الوضاء
أقولها من كل قلبي لكَ يا بُنيَّ
إذا أردت خدمةَ القضية
فالعب على كل الحبال واحفظ الوصيّة .

- ٤ -

هذا أنا أضربُ باليمين واليسار
أتباعيَ الأصفار
يا أيها المخنثون . . أوقفوا عقارب الساعات
وأوقفوا الأنهار
فكل ما بنيتُه ينهار
أمام عيني . . يا لهذا العار

أوصيتكم أن تكذبوا لكنكم يا أيها الصغار
دستم تعاليمي ، وألقيتم بها في النار
هذا أنا أخبط في الجدار
رأسي وكنت الفارس المغوار
كنت إذا أخرجتُ لليل لساني طلع النهار
كنت إذا ركبت ظهر السلحفاة أسبق القطار

كنت إذا عطستُ قُلتم زأر الضيغم في القفار
كنت ، وكان في يدي الجمهور والسلطة والدينار
فما لكم يا أيها الأصفار
تبارحون المعبد المنهار
وتتركون الثعلب المغلوب في الأطمار
سكرانَ تحت الثلج والأمطار
هذا أنا أضحوكة الصغار والكبار
أضرب باليمين واليسار
أخبط في الجدار
رأسي لعل الفلك الدوار
لعلها الأقدار
يا أيها المخنثون تُوقف الأنهار

لبورجوازي صغير يقرض الشعر

يشربُ بالمجان والدَين - ولا يدفع - في بيروت
فإن صحا ، فالشام
جاريةٌ له ، على أقدامها يبول
عشرون عاماً ، وهو في دفتره الأسود يستجدي السكارى
نعمةَ الإصغاء
لشعره الهراء
ببسمةٍ صفراء
يهزّ ردفيه إذا ما قرأ الأشعار
وامتثل الأمثال
ويغمز الخمار
لعله الليل أتى بقادمٍ ليدفع الحساب
رأيتُه يبكي على الحسين
ويطعن الحسين
في كربلاء طعنةَ الجبان في العينين
يقبّل اليد التي تصفعه لقاء ليرتين
بمال غيره كريمٌ وحفيٌّ مثلما المومس بالمجان
تضاجع الرجال
فهو مدينٌ في جميع علب الليل وفي البارات
للعاهرات ولأنصاف العذارى سيدات خدم الأسياد

فإن صحا في الشام
باع دم الشهيد في بيروت
وسجل الباقي على الحساب
يخاف من ذكر الذباب ولصوص العالم الصغار
لأنه يعيش في أكنافهم سكران بالمجان
ذبابة تلتمس الفُتات
وأرنباً جبان
ينافق السلطان
تدمع عيناه إذا ما أيقظت « فيروز »
بحيرة الفيروز في غنائها ورشت الرموز
فوق جبال النور
لكنه يسقط بعد لحظة في وحل الأشياء
ملطخاً وغارقاً في العار
رأيته في سنوات الموت والحصار
مُمثِّلاً في الشام
دورَ الذي تعبده النساء . . دون جوان
دورَ صديق قائد الأركان
معلقاً من ذيله كالببغاء الأعور السكران
يشرب بالمجان
ينشد شعراً للصوص الثورة الخصيان
في هيئة الأركان

. . . .

إن جاع يوماً رفع الراية للأعداء

وجاد بالخد إلى الصافع والقفا إلى الحذاء
ولعق الحذاء
أو ضاع في شوارع المدينة
وجدته يبحث عن مستمعين في دخان البار

١٩٦٤

السيد البرميل
قفاهُ بطنُهُ وبطنه قفاه ذرب اللسان
يحفظ شعر المتنبي ، ويقول الشعر أحياناً بلا أوزان
لكنه يخطىء في الإملاء والإعراب
يلقط في عيونه الحروف والخطوط والأرقام
يُحصي نقود العابرين وهي في جيوبهم تنقص أو تزداد
يُعيد ما يقوله أو قاله الإمام
في خطبة الجمعة أو في مأتم يُقام
يتقن فن الكذب والتزوير في الأحكام
يركب كل موجة ، لكنه يسقط قبل شاطىء الأمان
ثدياه ثديا مومسٍ عارية في الشمس
تفتح ساقيها لقاء فلس
له قرون التيس والخرتيت
وضحكة الخنيث
لسانه حبل غسيل في الضحى وفي الدجى منشار
تُنشر فيه جثث الأموات
وقطع الحديد والأحجار
وخرقةٌ تُمسح فيها كلمات الله
رأيته في مدن الشرق وفي أسواقها يبصق في عيونه الحدّاد

وبائع الخضار والعطّار
وهو على الرصيف في مذلة القواد
ممدَّدٌ ، يتبع في عيونه وقع خطى الأصوات والشفاه
ويقرأ المكتوب في دفاتر الأطفال
وَمِزَق الجرائد الصفراء
وكتب الأسفار
ويتبع الطيور للمنفى ويبني دونها أسوار
وينصب الشِراك
لعاشق النور الذي تأكله النسور فوق السور
وهو على صليبه مرتحلٌ وكائن موجود
ورافض مرفوض .
والسيد البرميل
يظهر في كل زمان ومكان شاهداً ، مزوراً قواد
في حرم الطغاة
وفي طوابير اللصوص وصفوف مخبري السلطات
يسرق أسلاب الضحايا ساعة الإعدام
يتلو على الجلاد والضحية الآيات
وعبر التاريخ والعظات
وينتهي كما انتهى اللصوص والشُطّار
عبداً إلى أسياده وخادماً للبيع والإيجار .

١٩٧٠

حلم المماليك انتهى
وتمَّت الرواية
فليحفروا قبورهم
وليُسدل الستار فوق لعبة النهاية
بياذقُ مقطوعة اللسان
تدرج في الأكفان
رأيتها في ليل منفاي
وفي مقابر الدخان
تهرف كالقوادة العجوز في مزابل النسيان
بالت على أقدامها الثعالب
وعششت في رأسها العناكب
تصطاد في وحدتها الذباب
تصطنع الألقاب
تزهو بريش الآخرين ، تقرع الطبول
لكل من هبّ ودبّ ، تسحب الذيول
رأيتها في عربات النفيِّ
في مذلة البياذق المقطوعة اللسان
الببغاواتُ :
ـ نعم يا سيدي ! الشمس بالمجان

تشرق من جيبك يا سلطان
ـ هبنا كفاف خبزنا اليومي من لدنك يا رحمن
ـ سنغسل الأرض ، سنكنس الليالي
ـ سنكون خدماً خصيان
ـ سنمسح الأكتاف والأحذية الجرباء
ـ سنرقص المساء
على الحبال ، هاتفين لك بالدعاء
ـ سنُرقص النمل ، سنصطاد لك العنقاء
فنحن ذيلك الذي تهش فيه ، تقهر الأعداء
الببغاوات ، نعم ، يا سيدي
تهرف كالقوادة العجوز في مزابل النسيان
تجر ذيل العار والهوان
تبني من الرمل قصوراً ، تهدم البنيان
الببغاوات ، نعم ، يا سيدي
في قفص الدخان
حطت وطارت ثم حطت تقرع القضبان

* * *

حلم المماليك انتهى وتمت الرواية
فليحفروا قبورهم ، وليسدل الستار فوق لعبة النهاية .

١٩٦٤

في طريقي إلى الظلام البعيد
صلب الليل بالفراغ وجودي
لم أعد، لم أعد سوى بعض شيء
سحقته سخريتي ووعيدي
لظلال الفناء أعصر قلبي
ولأبنائه أحزّ وريدي
كم مشى «قيصرٌ» عليّ لنصرٍ
وتغنّى بمجد «فرعونَ» عُودي
وبنيتُ الأهرام والقيظ يشوي
رأسيَ المتعب الحزين وجيدي
ولثمت الأيدي التي لطمتني
وتفانيت في هوى معبودي
ولكم روحيَ المهينة بيعت
رغم إملاقها بسوق العبيد
وقضاة التاريخ داسوا ضريحي
وأدانوا بالافتراء شهودي
ومددت الجناح للأفق حتى
مسّ قلب الإنسان، مسّ نشيدي
فإذا بالضياء يملأ كوخي

والمــلايين تلتقي في حـدودي

وإذا لـم أزل كمـا كـنت قبــلاً

ذلـك العبد ، لـم أزل وقيـودي

المناحات في دمي ، في ضميري

سمَّرت بالفضاء نعشي الجليدي

أين ؟ أين النســور تلقي بلحمي

لـلثعــابـين والـضبــاع الـســود

أين ظلي ؟؟ أعـاد مسخاً كـريهـاً

تـائهـاً في ظـلام دربي البعيـد

* * *

يا صليب العذاب ! خُذني حطاماً

ويكَ خذني ! إلى صليب جديد !

١٩٥٠

اللَيل والباب المضاء وأصدقائي الميتون
بلا وجوه يحلمون
بالفجر والحمى وصنَّاع الظلام
يتاجرون بما تبقى من سموم
« كل الدروب ، هنا ، إلى روما تؤدي »
والذئاب
تسطو على مَنْ لا كلاب له ، وسفاكو الدماء
يقامرون بما تبقّى من رصيد
«لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى تراق على جوانبه الدماء »
والليل والباب المضاء
والشارع المهجور والقتلى وأقنية المياه
والريح والدم والمداخن والهوام
من سطوة الإرهاب تزحف في الوحول
محمومة ، عمياء تزحف في الوحول
والأصدقاء الميتون من المصانع والحقول
كمياه نهرٍ هائج يتدفقون
ويهتفون :
بموت سفاكي الدماء

وسقوط صنّاع الظلام
والجوع والحمى وأشباح النساء
وصبية يتوعدون :
« الليل ولّى
نحن أحرار
لنا حق المصير »
والشارع المهجور
والباب المضاء موارب ، دامٍ ، يواجهه قتيل
كحمامة بيضاء
نائمة
يـواجهه قتيــل
والشارع المهجور تذرعه الكلاب
وفصائل الجند المدجج بالسلاح :
« قف في مكانك ، أيها الوغد الزنيم
باسم النظام ! »
ويهر آخر : « أيها النذل اللئيم
من أنت ؟ ماذا كنت تهتفُ ؟ أيها النذلُ اللئيم »
والجند والخوذ الحديد
والأصدقاء الميتون
« يا يسقط المستعمرون
ومنظمات دفاعهم ، يا يسقطون »
وتئز طلقات البنادق : « أيها الجندي الحزين
إنا رفاقك أيها الجندي الحزين

إنا رفاقك في المصير
في الفقر ، في المرض اللعين »
« يا يسقط الأوغاد ، أعداء الحياة
السارقون ربيعنا ، يا يسقطون
صوِّب سلاحك نحوهم ، نحو اللصوص
إنا رفاقك ، أيها الجندي الحزين »
والأصدقاء الميتون
كمياه نهر هائج يتدفقون
والليل والحمى وأضواء المقاهي الخاويات
وعصائب البوليس تقتحم البيوت :
« باسم العدالة ، أيها الجرذ الحقير
البابَ إفتح ! » والصدى والهاربون
وسماء بغداد الحزينة والبغايا والنجوم
والميتون الأصدقاء
والشارع المهجور يغمره الضياء !

١٩٥٢

إلى ماوتسي تونغ الشاعر

يا أيها الليل الطويل
هذا صياح الديك من أعماق قارّتنا يبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل[١]
أبداً جبال الموت يحجبها الضباب
والثلج والموتى وقطعان الذئاب
وحائط الصين العظيم
وعيون شاعرنا الجريح
تغفو على بيت من الشعر القديم :
« أطفال بكين العراة
سيزرعون الورد يوماً في الصخور
ويطلعون الفجر من ليل العصور
ومن أساطير الطغاة » !

* * *

يا أيها الليل الطويل
هذا صياح الديك من أعماق قارّتنا يبشر بالنهار
يا أيها الليل الطويل !

---

(١) البيت الأول والذي يليه مقتبسان من قصيدة لماوتسي تونغ كتبها خلال الثورة الصينية .

لم يبق إلا ساعتان
ويطلع الفجر العظيم
من المصانع والحقول
ومن دموع الأمهات
ومشاعل الثوار والديك المبشّر بالنهار
أبداً يصيح
وحمامة بيضاء يطلقها الصغار
عبر الميادين المضاءة والموانىء والبحار
حيث الجماهير السعيدة في انتظار
ميلاد آسيا من جديد !

١٩٥٤

عشرون قصيدة

من

برلين

إلى القتيل رقم ٨

في معسكر اعتقال بوخنوالد[1]

قميصه الممزق الأردان
وفرشة الأسنان
وخصلة من شعره لوّثها الدخان
وفي ثنايا جيبه
بطاقة الحزبِ
وحول رسمه خطان أحمران
وعبر زنزانته
مقبرةٌ تُعول فيها الريح والذؤبان
« سنلتقي ! »
وأطبقت عليه في جليدها الجدران
وسيق للموتِ
كما تُساق للمسلخ
في مدينتي
الخرفان
فإن مررت يا أخي
بفرشة الأسنان
فلا تقل بأنها نفاية في سلة النسيان

لأنها الشاهدة الوحيدة ، اليومَ
على جرائم الفاشست
في حق أخي الانسان

برلين ٣ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

سبع سنابل

إلى أرنست تيلمان

سنابل سبعٌ من اليونان
من أمّ ديمتروفَ
من صوفيا
ومن أطفال كردستان
حملتها اليك ، يا رفيقنا
تيلمان
المجد للانسان
لعالمٍ يُولد تحت الراية الحمراءِ
تحت راية العمالِ
يا رفيقنا تيلمان .
لحبة القمح التي تمدّ عبر قبرك الأجفان
للطفل
والكادح
والفنان
المجد للبحر وللربان
فانهض
فإن الحبّ والأغان
والخبزَ للجميعِ

في بلادك الخضراء
يا رفيقنا تيلمان .

بغداد ٦ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

سلاماً أثينا

الشمس في معسكر اعتقال
تحرسها الكلاب والتلال
لعلّ ألف ليلةٍ مرّت
ولا تزال
« بنلوب » في انتظارها
تغزل ثوب النار
أو « أوليس » في جزيرة المحال
يرسف في الأغلال
لعلّ في « الأولمب » لا تزال
آلهة الإغريق تستجدي
عقيم البرق في الجبال
طعامها النبيذ والخبزُ
وآلام الملايين من الرجال
قلتُ سلاماً !
وبكى قلبي
وكان الفجر في الأطلال
يُضيء وجه العالم الجديدِ
وجه شاعرٍ يحطّم الأغلال . .

بغداد ـ ١٠ ـ ٥ ـ ٩٥٩

برلين في الفجر

غدائر الفجر على أقدام
تمثال جنديّكِ
يا برلينُ
أسرابٌ من اليمام
وغصن زيتون وأقواس من الغمام
أموتُ من أجل عناقيد الضياء الخضرِ
في كنيسة
صلاتُها تُقام
من أجل أطفالك
يا برلين
من أجل العيون الزرق والسلام
أموتُ في كأس حليب ساخنٍ
في زهرة صوّحها الغرام
أموتُ من أجلكِ
تحت الراية الحمراء
يا مدينة الأحلام

بغداد ـ ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

إلى هانسن كروتسبرغ

في مصنع تيلمان

مدخنةً تناطح السماء
توزع الحلوى
على الأطفال في المساء
وتهب الضياء
والثوب والكتابَ والدواء
من يزرعون الورد في بلادك الغنّاء
فلنرفع الكأس على نخبكِ
يا مدخنة تناطح السماء
ففي غدٍ يرتفع البناء
أعلى فأعلى
آه يا صهباء
أنا صريع الأعين الزرق
صريع النار في الأفران ، يا صهباء
أعلن في حضرتك الولاء
للعالم الجديد ، للمدخنة السوداء
فليكتب الدخان في السماء
من ههنا مرّ صريع الحب في نهاية ابتداء

بغداد - ١٣ - ٥ - ١٩٥٩

إلى أمهات جنود المانيا الديمقراطية

ألفُ حبيب عادَ
فانتظرت أن تعود
وألف أقحوانةٍ
تفتّحتْ
عبر الليالي السود
فما لقلبي ظل في انتظاره
وظلت الحدود
مغلقة ، يحرسها الجنود
« يا ولدي ! »
وهزّ ثلجُ العالم المهود
واستيقظ الرجال
والسلاح في أيديهُمُ ورود
فما لقلبي ظل في انتظاره
وظلت الحدود
تفصل ما بيني وبين ولدي
يحرسها الجنود

بغداد - ١٣ - ٥ - ١٩٥٩

إلى العامل بيتر بابرتز

في درسدن

كان وحيداً
كان كالعصفورِ في الشتاء
في حانة ، أذكر أن بابها المضاء
كان وحيداً مثله في وحشة المساء
يا ألف عين نظرت
يا ألف شوق جاء
وغاب في الظلماء
كانت حياتي مثله رجاء
وقلتُ : يا بحيرة الغناء
لن أعبر الليلة ، فالسماء
بعيدة، ولوعة البكاء
والداء
ينهشني . وقال: « ما تشاء »
وأخرج الربيع من معطفهِ
وقال لي أشياء .
أذكر أن يده كراية حمراء
مرّتْ على حزني
على صحراء

ليلتنا الموحشة الجوفاء
أذكر ان فرحة زرقاء
دبت بروحي ، وبكت أشياء
في غمرة اللقاء

بغداد ـ ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

الشعر يتحدّى

سأنفخ الرماد في عيونكم
وأدلق الخمر على جباه
كباركم :
يا أيها السادةُ
يا أشباه . . .
الشّعر لا تطاله أوامر النُقّادِ ، الشاعرُ في رؤياه
يقودكم ، سأمانَ ، من أنوفكم
عبر التعاساتِ
ولا يُقاد كالحصان في سُراه
فلتخفضوا يا سادتي الجباه
لأنكم لم تعرفوا الوحشة والفقدان في حياتكم
لم تعرفوا - أوّاه -
طعمَ الدمِ المرّ ولا الحب الذي يموت في صباه
لأنكم لم تعبروا أسوار بغداد ، ولم تحترقوا
يا سادتي ، أوّاه
الشاعر الشاعر يقضي نحبه الليلةَ في نجواه
ممزقاً - عيناه
تستجديان الحب والحياة .

بغداد - ١٥ - ٥ - ١٩٥٩

رحلتُ في الفجرِ
ولم أتركْ
سوى بطاقة بيضاء
يا قُبَلَ الليل ، ويا مخدعها المضاء
عيونها تحرقني
عيونها الزرقاء
حملتُها معي إلى الصحراء
وصحتْ يا صحراء ، يا صحراء
برلين في حقيبتي
برلين والربيع والسماء
وحبّها
وصحتْ ، حتى هدني الإعياء
وحدي على اللهيب ، وحدي
دونما عزاء
مشيت حتى آخر الدنيا
وفي حقيبتي رجاء
أن نلتقي يوماً
وأن نبكي معاً
في ليلة بيضاء

عيونها تحرقني
عيونها الزرقاء

بغداد ـ ١٦ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

إلى مؤتمر السلام في برلين

لمرور عشر سنوات على حركة السلم العالمي

قبعة البحار
وعامل المنجم والتلميذ والطيار
سربُ عصافيرٍ على بحيرة النهار
وددتُ لو قبَّلتهم
قبّلتُ كل الناسِ
يا صديقنا البحّار
تعال ، خذ قلبي
ودعني لحظة أختار
أنا شهيد العشق في بلادكم
أنا طعام النار
لا تتركوني والعصافير على مائدتي
تلتقط الأزهار
دعني أغني لك ، يا صديقنا
أغنية الأنهار
في وطني البعيد . . دعني لحظة أختار
ففي غدٍ يستيقظ الصغار
ليصنعوا من حبنا أقمار
ويجد اليمام في بيت عدوي عشّه
ويحتمي الكنار

بغداد ـ ١٦ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

إلى مس بيجمام

جرائد المساء
تسهب في الحديث عن مؤتمر الكتاب في موسكو
وعن أشياء
نسيتها ، لكثرة الأنباء
لأنني ظللت في المقهى
وظل الصمت والمساء
يدب في نفسي
وفي قهوتنا السوداء
وبعدها انفجرت في البكاء
لأنني أردت أن أقبض في كفي على السماء
وأشرب الخمرة في قبتها الزرقاء
غنيتُ
ثرثرت
تباكيت على أشياء
نسيتها ، لكنها الآن بلا رجاء
تطفو وتطفو
فوق سطح الليل والنوافذ الخضراء

بغداد - ١٧ - ٥ - ١٩٥٩

إلى ذكرى ديمتروف

في برلين

مسيحُنا كان بلا صليب
كان بلا اكليل شوكٍ
كان في صراعه الرهيب
يوقد ألف شمعةٍ في ليلنا المعذّب الكئيب
ألف يهوذا
حوله كانوا
ولكن يد الشعوب
أقوى من الموتِ
ومن محاكم الفاشستِ
والتعذيب .
كل مساء ، كان من جراحهِ ، ألف يهوذا
يلعقون الدم ، في صراعه الرهيب
لكنه ، كان بلا صليب
يسخر من قضاته
من صالبي المسيح ، من مدبري الحروب
باسم الملايين من الشعوب
لأن صوفيا ، أبداً ، في قلبهِ ، لأنها آسرة القلوب

بغداد ـ ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

ميدان ماركس ـ أنجلز

في أول أيار

صوت لنين الأخضر العميق لا يزال
يهدر في العالمِ
والرايات في الجبال
تسد دربَ الشمسِ
والآلاتُ
والأنوال
أسمعها
تنبض في قلوبكم
يا إخوتي العمال
ألمح وجه العالم الجديد في عيونكم
في أعين الأطفال
في عبرات أم « فاتزاروفَ »
في قصائد « بريشتَ »
وفي أقوال
لنين وهي تلهم الأجيال
وتصنع الرجال
ألمحها في وطني تزلزل الجبال
يا إخوتي العمال

بغداد ـ ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

لن تقتلوني أيها الأوغاد
لن تحرموني
من ضياء الشمسِ
والإنشاد
لن تنصبوا الأعواد
للحب ، للشاعر ، للأوراد
لن تستبيحوا قصر أحلامي
ولن تخوفوا الأطفال بالأصفاد
لن تسرقوا خزائن الفنِ
ولن تستعبدوا بغداد
لن تجدوا
يا أيها الفاشست
في انتظاركم
إلا طبول الموت والرماد
مدينتي
تفتح للشمس ذراعيها
فعودوا !
أيها الأوغاد

بغداد ـ ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

أغنية إلى غوتيه وشيلر

... وبين أن تكون لي مطرقةٌ
أو أن أكون ، لك يا صديقنا ، سندان
آثرت أن أبحر في الفجر بلا ربّان
وأن أرى العالم في عيني
وأن أموت تحت راية الإنسان
آثرت أن أبلل الخبز بدمعي
وأغني فرح الأحزان
آثرت أن أدان
ولا أُدين الناس والزمان
آثرت أن أقامر ، الليلة
يا حبي
مع الشيطان
وأخسر الرهان
قلبي شراعٌ
مزقتهُ الريح والأشجان
هل بعد عبادان
من قرية ، هل بعد عبادان
ميناؤ نا القادم ، لن يكونَ
لن تبصره عينان

بغداد - ١٩ - ٥ - ١٩٥٩

إلى آنا سيكرز

مؤلفة كتاب « الأموات يبقون شباباً »

دمٌ على الأشجار
على جباه الحرس الأسودِ
والأحجار
على عيون القمر المصلوب في الجدار
على المصابيح
على الأزهار
على زجاج عربات النوم في القطار
حتى كأن النار
أتتْ على العالم
فاستحالت الأرض إلى قفار
تغمرها الصلبان والصبَّار
لكن أيدي الميتين ، وهي في احتضار
خبأت البذور في الأرضِ
فجاءت بعدها الأمطار
وهكذا عدنا من الحرب بلا أوسمةٍ أو غار
فلتفتحوا عيونكم
وناضلوا !
قبل اشتعال النار

بغداد - ١٩ - ٥ - ١٩٥٩ .

إلى البروفسور يوتكر

عميد المعهد الآسيوي في برلين

عيون بوذا ترصد الآفاق

تحمي حقول القمح من مناجل السُرّاق

ترافق الثوار والعشاق

عبر البحيراتِ التي تطفو على مرآتها الأوراق

والقمر الأزرق في المحاق .

قرأتُ أمسِ

أن لصاً جائعاً أفّاق

جاء مع الحجاج والشتاء والطُراق

فاقتحم المعبد في سكينه

وغاب في الرّواق

ومنذ ذاك اليوم ، لم تكتحل الآفاق

ولا حقول القمح والعشاق

بعين بوذا

فبكاه الناس ، في ملاجىء الأيتام والأسواق

لكن نجماً أحمراً .

فوق جدار الصين كالعملاق

شعّ ، فماد الأفق بالثوار والرفاق

وعادت الحياة للأرضِ

وعاد الفجر والإشراق

بغداد ـ ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

إلى صديقي تيفلت

« أراكَ في بغداد »
واختلجت أهدابُه وقال : « في بغداد »
كنت حزيناً
ـ عندما ودعني ـ
ممزقَ الفؤاد
كنتُ بلا أجنحةٍ ، أخترق الأبعاد
أدق باب المستحيلِ
أنفخ الرماد
أكلمُ الجماد
لعلني
أطير فوق العالم الصغيرِ
في عشية الميلاد .
أكون سندباد
أبحر في سفينة مثقلةٍ بالعاج والأوراد
أحمل للأطفالِ
في الأعياد
هديةً من جزر الهندِ
ومن بغداد

بغداد ـ ٢١ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

إلى إيرين أوبنهاو

تلاقت الأهداب
تكسر الجليد في مواقد الليلِ
وغنى بلبلٌ
في الغاب
يا ثوبها الأسود ، يا دوّامة العذاب
غرقتُ ، فالنبيذ في الأكواب
يشربني
حتى يكاد الباب
يدور كالطاحونة الحمراء في الضباب
غرقتُ ، النجدةَ !
فالأهداب
تأكل لحمي
تأكل الأعصاب
هرمتُ ألف مرةٍ
وعاد لي الشباب
في هذه الليلة من أيارَ
في بحيرة الشراب .
لا تتركيني ، فغداً أموت عبر الباب

بغداد ـ ٢٢ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

كتبتُ فوق الريح والجليد
اسمك ، يا برلين
يا غاليتي
فوق جباه الغيد
كتبتُ أن العالم الجديد
لن تستطيع وصفه بطاقة البريد
وأنني أحببت
ـ والليل على غرامنا شهيد ـ
صباحك الوليد
وشعرك الأشقر ، يا غاليتي
فوق جباه الغيد .
أكلتُ من خبزكِ
نلتُ منكِ ، ما أريد
غنيتُ للأنهارِ
والشموعِ والعمال والحديد
كتبتُ فوق الريح والجليد
اسمك ، يا برلينُ
يا غاليتي
فوق نجوم الأفق البعيد

بغداد ـ ٢٣ ـ ٥ ـ ١٩٥٩

كلمات لا تموت

عاد من عالمه الموحش مقروراً
إلى وحشة سجني
للصوص الشعر
للموتى ، يغنّي
للسكارى
آه يا برد الصحارى
لا تدعني
للمماليك أُغني
آه يا قيثارة الثلج
ويا فارس حزني
لا تدعني
مثل عصفور على الأبواب أهرم
مثل ينبوع مسمَّم
مثل منجم
أنا من أعماق سجني
أُوقظُ الإنسان في قلبك
يا فارس حزني
أُوقظ الحبَّ
الذي داسته أقدامُ الغزاةِ

أشعلُ النيران في ليل حياتي
آه بارِكْ كلماتي
لا تدعني
مثل شحاذ على الأبواب في الليل أغني
لا تدعني في الصقيع
تأكل الديدان والبرد ربيعي
إنه الإنسان في منتصف الليل يغني
إنه صوتك يدعوني
أيا فارس حزني .

القاهرة ١٩٥٧/٨/٧

١٢ قصيدة إلى العراق

١ - هدية

شعبي العظيم
إني وهبتك كل ما في عالمي الأرضيِّ
من حب عميم
حبي لأطفالي
وحبي للعصافير الصغيرة والنجوم
وغمست بالدمّ ريشتي
وعبرت في شعري التخوم
بلا بطاقة
وجمعت من أزهارك الحمراء باقة
وغداً أقدمها إلى ولدي الصغير
هدية المجرى العميق إلى الغدير

٢ ـ الحروف الخضر

إن كان ليس لديك « حزب » أوجريدة
فحروف منشوراتك الخضراء
ساطعة جديدة
في قلب كل مناضلٍ ،
أبداً جديدة
ولديك حزب راسخ البنيان
يا شعبي العظيم
في كل قلب ، راسخ البنيان
ينتظر الرفاق
وتظل في ليل العراق
بحروف منشوراتك الخضراء
تحتضن الرفاق

٣ ـ شعري

شعري جواد جامح يعدو بفارسه الحزين
نحو الينابيع البعيدة
في الجبال
بفارس الأمل الحزين
ماذا على الشعراء لو قطعوا يد المتطفلين
وأشعلوا نار الحنين
في ليل عالمنا
ودكوا بالأناشيد العروش
ماذا على الشعراء لو بصقوا على هذي النعوش
يا قلب لا تهرمْ !
فإن أمامنا حباً عظيم
حبي لأطفالي ، لشعبي
للحروف الخضر
لا تهرم ! فإن أمامنا حباً عظيم .

٤ ـ الفن للحياة

سأدوس في قدمي
دعاة « الفن » والمتحذلقين
وعجائز الشعراء
والمتسوئين
وأحطم الأشعار فوق رؤوسهم
فدمُ الحياة
يجري بأعراقي
وإني لن أخونَ
قضية الإنسان ، إني لن أخون
فلتذهبي يا ربة الشعر الكذوب الى الجحيم
فأنا هنا أستلهم الأشعار من حبي العظيم

٥ ـ الشعر والثورة

« الشعر أعذبُه الكذوب »
قالوا
وما صدقوا
لأنهمو تنابلة وَعُور
كانوا حذاء للسلاطين الغزاة
بلا قلوب
يا شعر حطم هذه الأوثان
واقتحم الخطوب
وتعال نرتاد البحار
ونجتلي نجم الشعوب
أنا ذاهب كي أقرع الأجراس
كي أطأ اللهيب

٦ ـ حتى الموت

ذاك الرفيق الأسود العينين ساهد

نزعوا أظافره

وظل طوال ليل الليل صامد

ضربوه حتى الموت

لم ينبس

وظلَّ طوال ليل الليل صامد

يا أسود العينين

يا حبي اليك يدي وسائد

يا أسود العينين

إن الليل شاهد

ماذا أقول وأنت في

أيدي الوحوش ، الليل ، صامد

٧ ـ لو قلتها

لو قلتها لنزعتُ عن كفي الأظافر
لسملتُ عيني
وانتعلتُ البرق طائر
وخنقت في قلبي أناشيدي
وحطَمت القيائر
لكنك الإنسان ،
والإنسان قاهر
يا أسود العينين
يا حبي المغامر
ستعيش في قلبي
وفي شعري إلى أبد الأداهر
ستعيش جباراً مغامر

٨ ـ انتظار

جلادك المسكين يضحك في غباء
قالوا له : عذِّبه
حتى تصبغ الأرض الدماء
قالوا له . . ماذا ؟
وفي عينيك عصف الكبرياء
يا أسود العينين
يا حبي المخضب بالدماء
يا عندليبي
إن أمك في المساء
في كل يوم تفتح الشباك ، لكن المساء
يمضي ولا تأتي
فتجهش في البكاء

٩ ـ أغنية إلى بغداد

بغداد برّحنا الهوى ،
لكن حراس الحدود
يقفون بالمرصاد
حراس الحدود
يا مَنْ أغنيها ،
فتسألني لماذا لا أعود ؟
لِمَ تسأليني ؟
والليالي السود دونك والسدود
أنا في دمشق لسانك العربي
قيثار وعود
أنا من دمشق أمد أجنحتي
لثورتنا وقود

١٠ ـ ٢٧ كانون الثاني

يا جسرنا الدموي ، يا خيط الضياء
يا فجر وثبتنا المرير
حدِّث فإنَّ دم الضحايا الأبرياء
ما زال يجري
عبر ليل مشانق السجن الكبير
حدِّث
فإن الثورة الكبرى
على الأبواب
حدِّث يا دمَ الجسر الأخير
بغداد ما نامت
وهأنذا
أراها في ضحاياها تسير

١١ ـ قيس

يا قيس يا ولدي
تعلمتُ الحياة
من موت أحبابي ، تعلمت الحياة
فَلِمَ الرحيل ؟
وأنت في عمر الورود
يا نجم وثبتنا الشهيد
لم الرحيل ؟
صيحات أمك لا تزال
في قلب بغداد المحطم ،
تسأل النجم البعيد
يا قيس يا ولدي
ويا حبي الأخير ، متى تعود ؟

١٢ ـ عناق

رسالتي
كانت اليك
بسيطة مثلي
ومثل غناء عمال العراق
مثل العناق
إني مددت يدي
إلى كل الرفاق
في كل حرف من حروف سطورها
المتوهجات
وغمست بالدم
ريشتي
وكتبت هذي الأغنيات

دمشق ـ ٢٦ ـ ١٢ ـ ١٩٥٧

أجنحة الشاعر في بلادنا جليد
تذوب إن طارت الى البعيد

قبعة الثلج على « صنين »
تحرقها الشمس
فلا يبقى سوى الرماد
يكفن الحقول
ويغمر الوديان بالذهول

من قلة الخيول
شدوا على الكلاب
سروجهم ، ونبحوا السحاب

أصبت بالقرف
منكم ومن أشعاركم يا ماسحي أحذية الملوك
يا خنافس الخزف

في حرم الطغاة
يحبو الشعارير
وينمو القمل في أشعارهم

ما أوحش الحياة
ما أبعد الطريق

وما أقل الزاد
كفرت بالشعر الذي يصنع من سلالة الكلاب
ناساً ، ملوكاً ، قادةً ، أرباب
ربيعنا مات
وها أزهارهُ الحمراء في السلال
تباع في مدينتي
في السوقِ
يا رفيقة الليال
الله في مدينتي يبيعه اليهود
الله في مدينتي مشرد طريد

أراده الغزاة أن يكون
لهم أجيراً ،
شاعراً ،
قوّاد
يخدع في قيثاره المذهّب العباد
لكنه اصيب بالجنون
لأنه أراد أن يصون
زنابق الحقول من جرادهم
أراد أن يكون
الملك لك
ما أبعد الطريق
الحمد لك

وما أقل الزاد

الله في مدينتي يباع في المزاد
دعارة الفكر
هنا ، رائجة ، دعارة الأجساد

لأنه لا يقبل القسمة ، يا حبي ، على اثنين
عادوا به محطَّماً ، مقيد اليدين
عقارب الساعة لا ترجع للوراء
قطارنا مرَّ
فلا جدوى من البكاء

بيروت - ٢٣ - ٤ - ١٩٥٨

ها أنت
هذا أنا
ماذا سيجدي السنا ؟
من بعد أن سمّموا
في حقدهم خبزنا
بحيرةً من دمٍ
تفصل ما بيننا
وعبرها أرضهم
تصقل أغلالنا
وليلُهم
ليلهم
يخنق أصباحنا
وكلبهم في المدى
ينبحُ أمواتنا
حبيبتي . . أحرقوا
بالأمس أشعارنا
حبيبتي . . شوّهوا
بالصمت تاريخنا
حبيبتي . . موّتوا

بالسل أطفالنا
حبيبتي . . أغلق الشتاء شباكنا
لا شمس
لا نسمة
تطرق أبوابنا
إنا هرمنا ، وها
أنت وهذا أنا
ثلج ليالي الهوى
يغمر بستاننا
لا فأس
لا صيحة
تشعل أحطابنا
حبيبتي
ها أنا
أحرق نفسي هنا
كي أكسر الثلج
والأغلال
يا بؤسنا

إن أشرقت شمسهم
ونحن في سجننا
نجتر أحزاننا
حبيبتي
إن همو

لم يرحموا حبنا
لكننا لم نزل
نحبُّ
لكننا

دمشق ـ ١٥ ـ ٢ ـ ١٩٥٨

إلى ت . س . اليوت

لا شاعر أفّاق
لا عشّاق
لا شهداء
لا قطرة ماء
لا طاحونة
في هذي الأرض الملعونة
أرض الدينونة
أرض الصلوات الخرساء
أرض الأموات
الغرباء
الأشرار
فتعال ، تعال !
حيث الأسمال
حيث الشعراء ،
الشهداء
الأحياء
في مدن الفقراء الكبرى
في المجرى
في الأعماق

يحترقون

ينتظرون

في الساحات الملتهبة

بعيون مكتئبة

فتعال ، تعال !

فهناك رجال

ينتظرون

يحترقون

ليضيئوا المدن الأرضيّة

ليغنوا الحريّة

المسيح الذي أعيد صلبه

الى جميلة بو حيرد

كل ما قالوه كذب وهراء
اللصوص ، الشعراء
الحواة الأغبياء
إنني أحسست بالعار لدى كل قصيدة
نظموها فيك،
يا أختي الشهيدة
وأنا لست بصعلوك منافق
ينظم الأشعار مزهواً
وأعواد المشانق
لأخي الانسان ، بالمرصاد
أعواد المشانق .
وأنا لست سياسياً ،
خطيباً ،
فالمنابر
طردتني منذ أن صحت بوجه الناس
« كلا ! أنا ثائر
كل ما أملكه ، يا اخوتي ، حبي اليكم ،
بندقية »

وأنا لست بتاجر
يتغنى بعذاب البشرية
يُحسن الرقص
على أمواتنا الأحياء
يا أخت ،
يغني بشهيّة .

إن طعم الدم
في صوتي
وفي أبيات أشعاري الشقيّة
مثلُ سدٍّ يقف الليلة
ما بيني
وبين البربريّة
إن جيلاً كاملاً
مات
نهار اليوم
يا أختي الصبيّة

يا جميلة
إن ثلجاً أسوداً
يغمر بستان الطفولة
إن برقاً أحمراً
يحرق صلبان البطولة
إن حرفاً ،

ماردا

يولد في أرض الجزائر
يولد الليلة
لم تظفر به ريشةُ شاعر

دمشق - ٧ - ٣ - ١٩٥٨

إلى مكسيم غوركي

منازل الأحباب في الدرب
مضيئة
فانزل على الرحب
بحارة « الفولغا »
وعمال « مدريد »
يغنون من القلبِ :
رفيقنا !
الجبال مكسوّةٌ
بالثلج
والسماء بالسحبِ
ولم يزل انساننا باسماً
للموت في عشية الصَلْب
والأرض من أعماقها
لم تزل
تفيض بالعطاء والخصب
ولم يزل
« لينين »
في صوته الأخضر
إنساناً من الشعب

ولم تزل
موسكو
على عهدها
منارة للسلم والحب
قوافلٌ ، قوافل في المدى
تصنع فجر الغد في الدرب
رفيقنا
الجبال مكسوة
بالثلج
والسماء بالسحب
ولم يزل
انساننا باسماً
للموت
في عشيّة الصلب

دمشق ـ ٣٠ ـ ٣ ـ ١٩٥٨

كلماتي
لن تهرم
كلماتي
لن تهزم
كلماتي
لن تصدأ
كلماتي في المرفأ
تنتظر الإبحار
يا قلق الأسفار
هبني قيثارة
هبني نوّارة
فأنا أنتظر المد لأرحل
يا منديلاً
بالدمع مبلل
وأنا أبصر
وسمائي تمطر
عبر الظلمات
أحزان الفقراء
وهمو يبكون

تحت الشرفات
في المدن المقهورة
في المدن المقرورة
يا قلق الأسفار
كلماتي
أزهار
لن تذبل
فلنرحل !
فسيأتي شاعر
من بعدي
في باقة وردِ
في مشعل
يقتحم الأسوارا
ويضيء الأنوارا
وسيصنع من كلماتي
من حبر دواتي
مدناً وحدائق
ونجوماً ومطارق

دمشق - ٢٥ - ٢ - ١٩٥٨

١٤ تموز

الشمس في مدينتي
تشرقُ
والأجراس
تقرع للأبطال
فاستيقظي حبيبتي
فإننا أحرار
كالنار
كالعصفور
كالنهار
فلم يعد يفصل فيما بيننا جدار
ولم يعد يحكمنا
طاغية جبار
لأننا أحرار
كالنار
كالعصفور
كالنهار
وشعبنا
أقوى من الإعصار
ومن حراب الملك المنهار
فجيشنا العظيم

يا حبيبتي
حطمها ، وسار
يعانق الشعب
كما يعانق التيار
شواطيء البحار
فاستيقظي حبيبتي
فإن في مدينتي
الأعراس
تُقام
والأجراس
تقرع للأبطال

موسكو - ١٦ - ٧ - ١٩٥٨

الأميرة التي كانت تحب مغنيها

الى ليودا ايفارفا

لأن عيوني جميلة
لأنك أحببتني في الطفولة
لأن الليالي طويلة
لأن العذاب ،
لأن الكهولة . . .
لأنك واحةُ عمري الظليلة
لأن دموعي قليلة
لأنك ، يا فارسي ،
تدعي بالبطولة
لأنك قبلتني في الخميلة
وعلمتني كل حيلة
لأني لم أكن ذات يوم بخيلة
لأني أحبك
حب الذليلة
لأن حياتي
بدونك ، يا فارسي ،
مستحيلة :
كسرت فؤادي
ويتمتني
في الطفولة

طفلٌ مصلوبٌ
وحمامهْ
تنقر أقدامه
لوحة فنان زيتية
في مقهى
منسيّة
أغنيه :
العالم يطبع قُبلة
فوق جبيني الليلة
العالم يولد
أخضر أو أسود
في عينك يا طفلاً لم يُولد
في مقهى
في لوحة
في صيحة
أطلقها فنان جائع
منفرد ضائع
يستجدي
أوراق الورد

في الطرقات
في الحانات
ويبيع الكلمات
تلك هي الأغنية
مأساة العصر ؛
المرثيّة :
أن تولد مسخاً
أو أعرج
أن لا تنهج أو تلهج
بالحرية
أن تحرق « روما »
أن تعمى
يا طفلاً تأكله الحمى
يا بيضة نسرٍ
تتعفن
في مخزن
بائع أكفان الموتى
يا صوتاً
لم يرتفع الليلة
في وجه الطغيان
من أجل أخي الانسان
وأنا في حزني
والكل يغني

في المعبد
للطوفان الأسود
جرحي يتفتح
صوتي يتقيح
بين الجدران
أين أخي الانسان ؟

دمشق ـ ١٧ ـ ٣ ـ ١٩٥٨

١ ـ النحلة العاشقة

عادت مع الريح الشمالية
مع السنونو
مع أغنية
تصبغ في جناحها الجليد
تحلم ، تستعيد
ذكرى غرام مات في الربيع
مات
وها أزهاره السوداء
في الصقيع
تزهر من جديد

٢ ـ الموت والزمان

حبيبتي . . جميع
رفاقنا ماتوا
ولم يبق سوى الزمان
وحسرة الأغاني
حتى صديقي
أحمد الصغير
مات عليه رحمة الله ، صديقي
أحمد الصغير
ماذا تقولين إذا عدنا إلى الوطن
ولم نجد هناك من يعرفنا
ماذا تقولين ؟
أيا عصفورة الشجن

٣ ـ الجدار

سألعن الحب
الذي يُنبت في صحرائنا صُبَّارْ
سألعن النهار
إن لم أجد في ضوئه قيثار
إن لم أجد أزهار
آبارنا مسمومةٌ
فأين يا حبيبتي الفرار !
رفاقنا ماتوا
ولم يبق سوى الجدار
يسخر من أمواتنا
من ليلنا
المنهار

٤ ـ وداعاً استامبول

مررت باستامبول ، لا أقول
نزلتُها ،
لأنني عجول
لأنني أخجل من محمد[1]
من وجهه الصغير
إمّا رآني فارغ اليدين
مسهّد العينين
أهيم في شوارع استامبول
في وحشة الأفول
وفي فؤادي . . .
آه يا حبيبتي
مررت . . لا أقول

---

(١) ابن الشاعر الكبير ناظم حكمت .

٥ ـ الطريد

حلمتُ
أني هارب طريد
في غابةٍ
في وطن بعيد
تتبعني الذئاب
عبر البراري السود والهضاب
حلمتُ
والفراق يا حبيبتي عذاب
أني بلا وطن
أموت في مدينة مجهولةٍ
أموت
يا حبيبتي
وحدي بلا وطن .

٦ ـ أمطار

ستغسل الأمطار
نافذتي
سيفتح النهار
لنا طريقاً واحداً
في ليل أوروبا
فنستفيق
من نومنا العميق
سيحمل القطار
لنا هدايا من بلاد الثلج والأزهار
لكنما القطار
مرّ ، وكنت نائماً
حبيبتي .. القطار

٧ ـ عيد ميلاد

رأيتهم في ضحكهم
يبكون
أطفال أوروبا ، بلا عيون
وددتُ
لو عدت إلى دمشقَ
فالأطفال لا يدرون
أن غريباً
كان يبكي مثلهم
كان بلا أزهار
يحتفل الليلة
في ميلاده
كان غريب الدار

٨ ـ عزاء

مدينتي بعيدةٌ
لا تلعبي بالنار
أنا إذا اخترت مصيري
آه لا أختار
فلتغسل الأمطار
نافذتي
وليُقبل النهار
فلم أعد أنتظر القطار
عزائيَ الوحيد
أن أكتب في حبيبتي الأشعار

٩ ـ الوحدة

كقطرة المطر
كنت وحيداً
آه يا حبيبتي ، كقطرة المطر
لا تحزني
سأشتري غداً لكِ القمر
ونجمة الضحى
وبستاناً من الزهر
غداً إذا عدت من السفر
غداً إذا أورق في ضلوعيَ الحجر
لكنني ، اليوم ، وحيدٌ
آه يا حبيبتي
كقطرة المطر

١٠ ـ تذكار من بغداد

يا نخلة في سجن بغدادَ
أتذكرين ؟
غناءنا الحزين
قُبَّرة طارت مع الشمس
وهذا كل ما أذكره
يا حسرة السجين
قبرة طارت مع الشمس
وفي بغداد
من صداحها أنين
يا نخلة في وطني النائي
أتذكرين

١١ ـ سماء بلا نجوم

سماء أوروبا
بلا نجوم
لا تذكري بالخير أو بالشر
يا صديقتي
مدينتي الرؤوم
فنحن في الشرق على الضياء
نحيا
على الدموع والدماء
مستنقع في وطني
أجملُ
من بحيرة في ليل أوروبا
بلا ضياء

١٢ ـ حضارة الغرب

حضارةٌ تنهار
قلب من الطين
وعينان بلا قرار
يجف في بثريهما النهار
عاهرة خلّفها القطار
في ليل أوروبا بلا دثار
تموت تحت البرد والأمطار
وددتُ
لو صحتُ بها :
أيتها العجوز
يا هتيكة الإزار
قد فاتك القطار

١٣ ـ أوروبا العجوز

زنابقٌ سود على الضفاف
تدوسها الخراف
تلك هي الحقيقة المُرّة
يا مقطوعة الأثداء
تمثالك العريق قد حطّمه الخزّاف
فلتدفعي
رجالك الجوف
إلى الصلاة
فالأموات
قد دفنوا أمواتهم
وانطلقوا بغاة
يروّعون الطير في أعشاشها
ويطلقون النار
عليكِ يا عاهرة قد فاتها القطار !

١٤ ـ صديقة

مائدتي موحشةٌ ومقعدي جليد
يا دمية تجهل ما أريد
عودي إلى بيتك
يا صغيرتي
عودي إلى فارسك الجديد
عودي وخلِّيني هنا
أمضغ قلبي
أنزوي وحيد
أنا إذا استيقظ فيكِ الشوقُ
انسان من الجليد
عواطفي تركتها هناك
في دمشق
في مدينة الشمس التي في الليل لا تغيب
عودي إلى بيتك
يا صغيرتي
عودي !
وخلِّيني على الصليب

١٥ - إلى شتراوس

إليك شتراوسُ
إلى الدانوبْ
إلى الجبال الخضر
والطيوب
غنيتُ :
حتى انطفأ المصباح
فليل أوروبا بلا صباح
طالَ
وطالت وحشتي فيه
فيا ملَّاح
بحار فجر الحب ، يا ملّاح
خذني إلى مدينتي المثخنة الجراح
هناك حيث الشمس والأقاح

فيينا - ٢٠ - ٦ - ١٩٥٨

حب قديم

وطرقتَ بابي
بعد أن أغفى السكارى
وانتهى فصل سقيم
متوسلاً
سكران ، منسحقاً ، كظيم
كالأرنب المذعور
كالطفل اليتيم .
وقلت ، ماذا ، لست أذكر يا لئيم
غير انتظاركَ ، دونما جدوى
وراء البابِ
والليل البهيم
وثلوج هذا العالم الأسيان
غطّت في عباءتها النجوم
والحارس الليليُّ
أغفى
تحت أكداس الهموم
وقنوط وجهك في صحارى الموتِ
والعطش الأليم
وحذاؤك البالي

يجوب الليل ، ينتعل الغيوم

* * *

أعيادنا في الأرض
مرّت
والجحيم هو الجحيم
لن يُبعث الموتى
ولن يستيقظ الداء القديم
فاذهب
ودع للناس ما للناس
يا طفلي اليتيم

بغداد - ٣١ - ٣ - ١٩٥٩

أبو زيد السروجي

كان[1] يغني
كان شحاذاً بلا حياء
يجتر ما في كتب الأمواتِ
أو يسطو على الأحياء
كان يغني
في المواخير
وفي ولائم الملوك
في شهيةٍ ، لأنه كان بلا حياء

* * *

كان يغني
كان في مدينتي يفعل ما يشاء
يغوي الصبيًات
ويستجدي
على قارعة الطريق في المساء
صنعتهُ تقبيل أيدي الناسِ والغناء
وشتمهم ، لأنه حرباء

---

(١) أبو زيد السروجي : من أبطال مقامات الحريري ، وهو شخصية نموذجية لكل الناس الذين على شاكلته في كل زمان ومكان .

يعرف من أين وكيف تؤكل الأكتافُ
والأثداء .

* * *

كان بلا صوت يغني
كان في أسماله السوداء
يظهر في كل زمان ، راكباً
بغلته البرصاء
تتبعه الغربان والوباء

* * *

كان يغني
عندما أغار هولاكو على بغداد
واستسلمت « طرواد »
وعُلقت في قلب « مدريد » وفي أبوابها
الأعواد .
لأنه كان بلا ميعاد
يظهر في كل زمان ، راكباً
بغلته البرصاء
يتبعه الجراد والوباء

بغداد ـ ٢٤ ـ ٢ ـ ١٩٥٩

وقلتِ : إن الحب لا يموت
لكنه مات ! ولم يمضِ على مولده يومان
واحسرة الشاعر في خريفه يهان
وتخنق الأشواق في فؤاده
ويقتل الانسان
فالأسد الهصور عندما يشيخُ يَضحك الصّبيان
عليه والغربان
والأحدب الأمير ذو الأظلاف والسلطان
تخطب ودَّ كلبه الحسان
ويرتمي الأقزام في طريقه
مقبلين الثوب والأردان
واحسرة الشاعر في خريفه تهصره الأشجان
وكل شيء حوله يموت
أو يُسرق
أو يلفه النسيان .
واحسرة الشاعر
إن تآمر ، أو غنّى مع الشيطان
عُقباه أن يُمسخ في خشبة الصليب
وأن تأكله العُقبان

زماننا كان بلا شعرٍ، وكان الأحدب الأمير والأوثان
والصحف الصفراء والأقزام والذؤبان
تعوي وتعوي
كنتُ يا صغيرتي سأمان
أصرخ في شوارع المدينة الصمّاء، يا صغيرتي
أمضغ قلبي
ألعن الزمان
لأنه مطيةُ الأذناب والعبدان

* * *

حبك ، يا صغيرتي ، ثُعبان
كان طوال الليل في مدينتي
يفح
في الأزقة السوداء والحيطان
لكنني قتلته
قتلت حبي التَعِس المهان

١٨ - ٢ - ١٩٥٩

يرتجف الحديد
منكِ
ومن عينيك ، يا بغداد ، يا مقبرة الغزاة
يا صباحنا الجديد
فلتضربي
ولتضربي
جحافل الفاشست والعبيد
ولتطلعي الربيع ، من ليل عصور الموت والجليد
ربيع كردستان
من صيحات جندي على الحدود
يزرع في حربته الورود
ويجرح الشمس ، يغني صامداً ، وحيد

* * *

الفجرُ ، يا مدينة السلام ، لن يحيد
عن دربه المخضبِ البعيد
فلتضربي
ولتضربي
جحافل الفاشست والعبيد

ولتطلعي رغم ليالي الموت والجليد

ربيع كردستان

من قلب بلادي

وردةً حمراء

يا صباحنا الجديد

٣٠ - ٣ - ١٩٥٩



أحبها

أحبها ، أحب عينيها
أحب شعرها المعطار
أحب وجهها الصغير كلما استدار
أحب صوتها الحزين الدافىء المنهار
يفتح في الظلمة شباكاً
ويهمي في الضحى أمطار
أحبها
حب الفراشات لحقل الورد والأنوار .
أحبها ، يا فجر أيامي
ويا عرائس البحار
ويا صديقاتي
وداعاً
قلق الأسفار
وحسرة الخريف في القفار
تهيب بي : تعال لا تخش لهيب النار .

* * *

أحبها
وانهار في قلبي جدارُ الثلج
وانساب دم النهار .

بغداد ـ ١٧ ـ ٣ ـ ١٩٥٩

عندما لا تمطر السماء

عدتُ مع العصفور والشتاء والمطر
كتبت ألفَ بيتِ شعرٍ ، لكِ
يا رفيقة السفر
صَليتُ للحبِ الذي ينبت في صحرائنا الزهر
غنّيتُ للنار التي توقدُ في الغابات
في السّحر .
حلفت بالقمر
أن نلتقي يوماً
وأن نرقص في أعياد شعبي
قاهر القدر
لكنني
ما زلت ، يا رفيقة السفر
أحلم وحدي
دون أن ينفجر السحابُ
أو ينهمر المطر .

بغداد - ٢ - ٢ - ١٩٥٩

العندليب يطير عبر الثلج والظلمات والألم الدفين
العندليب يطير ، لكني سجين
بين الكؤوس وبين ضحكات السكارى الراقصين
عيناك في عيني
ولكني أذوب من الحنين
لعوالمٍ ، لم تعرفيها ، أنتِ ، يا نتناً وطين
لعوالمٍ ، لم تسمعي عنها ، لأنك ، يا غبيةُ ، قطةٌ
في مطبخ الليل الرهين
لم تعرفي إلا وجوه الداعرين
لم تعرفي إلا ابتزاز نقودهم
إلا بأنك سلعة للطالبين
لا تكذبي فعيونك البلهاء
تخبرني
بأنك تكذبين
لا تكذبي فعيونك البلهاء
تبحث في عيون الراقصين
عن لعبة أخرى ، وعن ثور بدين
مالي ، خذي كيس النقود
وغادريني

أيها البوم اللعين
قلبي ! سأسحقه
وأمضي جامد العينين، مرفوع الجبين .

موسكو ـ ١ ـ ١ ـ ١٩٦٠

هيهات

أبحرت السفن
ما كان لم يكن

* * *

يا أنتِ ، يا طريدة الأبواب
عيناك من تراب
قلبك من خشب .
لن يُطفأ اللهب
ولن يبيع دمه ، المسيحُ ، بالذهب
قصائدي أغلى من القمر
لأنني أودعت فيها لوعة البشر
وحسرة الحجر .
قصائدي أثمن من عيني
فلا تسترقي النظر
لن أُشترى ولن أباع
فأنا المطر
أحمل قلبي مثل طفلٍ جائع عريان
في حقيبة السفر .
ثلوج هذا العالم الأسيان

لن تمنعني من رؤية السحر
سأبحراللیلة ، یا قصائدي
من أجل عينيك
الى الأبد
وأحرق الجسد
وأطأ اللهبْ
وأركل الأصنام والذهب

* * *

أبحرت السفن
ما كان لم يكن

موسكو - ٢٥ - ١٢ - ١٩٥٩

إلى فلاديمير ماياكوفسكي

مايا . . كوفسكي
في وجه النقاد اللؤماء
يرفع جبهته المعصوبة
وقصيدة
بالدم مكتوبة
وعصاهُ الثلجية
تقرعِ روسيَّة
أرضَ الحرية

* * *

الحقد يلمع في عيون ذوي اللحى الصُفر الطوال
القاتلي « بوشكين » الجبناء
أشباه الرجال
سرقوا ابتسامته
وسموا خبزه بالبغض
لكنّ الليال
دارت على أقلامهم
دارت ، وكسّرت النصال
وخبت عيون ذوي اللحى الصفر الطوال
لكن وجهك ، يا رفيقي

لا يزال
في ليل موسكو
ساخراً منهم
ومن عبث الظلال

* * *

مايا . . كوفسكي
يرفع جبهته المعصوبة
في وجه النقاد اللؤماء .

موسكو ـ ١٧ ـ ١ ـ ١٩٦٠

لو أستطيع
لأكلت عيني
لامتشقت البرق في وجه الصقيع .
لوقفت في ساحاتك البيضاء ، منتحباً
وقبّلت الجميع .
لحلمت في « المترو » بأن يد الربيع
مرت على عيني
وكفكفت الدموع .
لصنعت من حبي إليك مظلة خضراء
من ضوء الشموع
لحطمت ساعات الفنادق
وانتظرتك في الجليد
وصرخت أني لست ، يا موسكو ، وحيد
ما دام قلبك يحتويني
يحتوي حب الجميع .
ما دمت أشعر بالربيع
يختال في ساحاتك البيضاء
كالطفل الرضيع .

سيذوب ، يا موسكو ،
الجليد
سيذوب ، يا موسكو
الجليد .

موسكو - ١ - ١ - ١٩٦٠

أغنية المحكوم بالحب

كان يدمدم
إفتح يا سمسم !
إفتح لي قلبك
وامنحني حبك
فأنا جائع
وأنا ضائع
في برد الطرقات
في ليل الأموات
صدري بركان خامد
ولساني حجر هامد
فافتح لي قلبك
وامنحني حبك
يا شمس الفقراء .

* * *

عصفور من نار
أيقظني
طار
عبر الأسوار

ستالينو ـ ١٥ ـ ١ ـ ١٩٦٠

ثلاث رباعيات

- ١ -

رأيت في المنام
محبوبتي ، عارية ، ترقص في كأس من المدام
أردت أن أشربه ، لكنني غرقت في الكأس وفي الظلام
لأنني كنت مغني صاحب الجلالة السلطان

- ٢ -

أردت أن أعانق الأطفال في الطريق
أردت أن أشعل في قصائدي الحريق
لكنني غرقت في صمتي ، وفي بئر حياتي الأسود العميق
لأنني كنت مغني صاحب الجلالة السلطان

- ٣ -

وضعتُ قلبي في إناء ، ووضعت السيف في إناء
محبوبتي امتلكتها ، تقطر من شفاهها الصهباء
صدحت بالغناء
لأنني قتلت ذا الجلالة السلطان .

ستالينو ـ ١٤ ـ ١ ـ ١٩٦٠

وغشّني الأمير
باللعب ، يا صغيرتي ، وقلَبَ الأوراق
وضحك الرفاق
لأنني رهنت قيثاري وسيفي
وخسرتُ اللعب والأمير .
وكيف ، يا صغيرتي ، أطير
والنار في أجنحتي
والثلج في الآفاق
وضحك الرفاق
وقلبوا شفاههم ، وشيعوا الأمير
بنظرة احتقار
لأنه يغش باللعب
لأن السيف ؛ والقيثار
ظل يغني للجماهير
وظل السيف في انتظار .

* * *

كان رفاقي يشعلون النار
ينتظرون الثلج أن يذوب

أن تنهار
دعائم الكذب .
وكنت أشحذ القيثار

موسكو - ١٨ - ٣ - ١٩٦٠

النار والكلمات

اعتذار عن خطبة قصيرة

سيداتي ، سادتي
خطبتي كانت قصيرة
فأنا أكره أن يستغرق اللفظ زماني
ولساني
ليس سيفاً من خشب
كلماتي ، سيداتي ، من ذهب
كلماتي ، سادتي ، كانت عناقيد الغضب
وأنا لستُ بسكران ، ولكنّيَ مُتعب
الشموع انطفأت
والليالي بردت
وأنا أحمل قلبي في حقيبة
مثل طفل ميتٍ ، أغرق بالدمع صليبه
عبر آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة
خطبتي كانت قصيرة
وأنا لست بسكران ، ولكنّي أسخر
من عذابي
وأنا لست بقيصر
إن روما تحترق
إن روحي تختنق

بين آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة
فوداعاً
سيداتي سادتي

ستوكهولم ـ ٨ ـ ٦ ـ ١٩٦٠

- ١ -

... وتعثرتُ بآلاف القوافي والحروف
وتبارزت بآلاف السيوف
فإذا بالشاعر العائد ما زال يطوف
مركبي ضلَّ
ومهما ضلّ ، فالدنيا ظروف
كلُّ ما أكتبهُ
يا سندبادي
كل ما أكتبه محضُ حروف
فأنا أعتصر الحرف وورقائي مع الصبح هتوف
آه لا توقظ جراحاتي
ولا تملأ رقادي بالطيوف
بيت موتاي مليءُ بالضيوف
وبآلاف القوافي والحروف
وأنا يا سندبادي
متعبٌ قلبي عزوف ...
آه لا توقظ جراحاتي
ودعني حول أمواتي أطوف

- ٢ -

أيها الحرفُ
الذي علّمني حبَّ الحياه
أيها الحرف الإله
آه لا تُطفىء مصابيحك ، آه
كل ما أكتبهُ محض صلاه
لكَ ، للعالم ، ما أكتبهُ
محضُ صلاه
وسلاح في يدي ضد السلاطين وأحفاد الغزاه

- ٣ -

أيها الحرفُ
الذي علَّمني جوبَ البحار
سندبادي مات مقتولاً على مركب نار
وطني المنفى
ومنفاي الى الأحباب دار
وجهُ أمي ، أبداً ، ألمحهُ عبر الجدار
وجه أمي والصغار
والمصابيح التي تهزم في شارعنا ضوء النهار
أيها الحرف المدمّى
أيها المنفيُّ
يا محض شعار
إنني أحمل بغداد معي في القلب من دارٍ لدار
أبداً لن يستر الثوبُ المُعار

عُريَ أهلي
آه من عُري القفار
آه لو عُدت الى بيتي
لمزقت مكاتيبي وأوراق الغبار
ولعلمتُ الصغار
كيف أبحرنا على مركب نار

- ٤ -

تخلاتُ الأهل في أفق السهاد
ضوأت واحترقت
فهي رماد
أينَ منْ يأخذ ثار السندباد
أيها السيف الذي للغمد عاد
دمُنا كان المداد
يا تلال كُتب الأشعار يغزوها الجراد
دمنا كان المداد
أين مَنْ يأخذ ثأر السندباد

- ٥ -

أيها الريح الذي يحمل مركب
سندبادي
أيها الحرف المُتعَب
أينما تذهب أذهب

- ٦ -

إن كيسي بالنجوم
بالأزاهير مليءٌ بالكروم
معك الليلةَ خُذْني
أيها الحرف الرؤوم
عبر غابات الليالي
وبساتين الهموم

- ٧ -

لتهبّ العاصفة !
لتهبّ العاصفة !

موسكو ـ ١٥ ـ ١٢ ـ ١٩٦٠

إلى أرنست همنجواي

- ١ -

في اسبانيا

الموت في مدريد
والدم في الوريد
والأقحوان تحت أقدامك والجليد
أعيادُ اسبانيا بلا مواكبِ
أحزانُ اسبانيا بلا حدود
لمن تُدق هذه الأجراس
لوركا صامتٌ
والدم في آنية الورود
وليل غرناطة تحت قبّعات الحرس الأسود والحديد
يموتُ ، والأطفال في المهود
يبكونَ
لوركا صامتٌ
وأنت في مدريد
سلاحك الألم
والكلمات والبراكين التي تقذف بالحمم
لمن تدق هذه الأجراس ؟
أنت صامتٌ ، والدم

يخضّب السرير والغابات والقمم

- ٢ -

حافة الموت

النار في الدخان
والخمرة في الجرّة والوردة في البستان
والكلمات والعصافير وداء الحب والزمان
صمتُ البحار أقلق الربان
وكان يا ما كان
كان صراعاً دامياً بين قوى الظلام والانسان
الساعة الثامنة ، الليلة
في حديقة النسيان
سنلتقي !
وغاب في شوارع المدينة المجهولة المكان
وانتحبت صبيّةٌ
وأُطبقت عينان
ضيّعتُه
وجدتُه في كُتب الرحالة الأسبان
كان يغنّي تحت رايات شعوبِ الأرضِ
تحت راية الانسان

- ٣ -

النهاية

الموت حتف الأنفِ

لوركا ، قالي لي
وقال لي القمر
ضيّعتني
ضيّعك الوتر
موّتك الضجر
رحلت والربيع في طريقنا
وارتحل الغجر
وأُحرقت خيامهم
واحترق الزهر
أغنيةٌ ينزفُ منها الدمُ
كانت
قال لي نبوءة القدر
سألت عنك الشيخ محيي الدين
قال في فمي حجر
رسالة العشق ومعبودك تحت قدمي القمر
مذابح العالم في قلبك والأطلال والذكر
قال صديقي الشيخ محيي الدين
لا تسأل عن الخبر
فالناس يمضون ولا يأتون
والسر على شفاهنا انتحر

لندن ١ ـ ٢ ـ ١٩٦١

الغراب

ما لي أراكَ تُقلِّب الصفحات
ملتهب الجبين
عيناك غارقتان في صحراء آبار الحروف
وفي عيون الميتين
حبرُ الوصايا العشر جفَّ
محا اليقين
حرفَ غرابٍ ، ظل ينعب في الجرائدِ
في بيوت الضائعين
ويقضُ في ليل المدينة مضجع الصمت الحزين
هُمْ يا صديقي
أطعموهُ لحومهم متطوِّعين
صبغوا به الجدرانَ
ناموا حوله متثلِّجين
طافوا به الدنيا على أقدامهم متسولين
بنعيبِهِ الدامي بنوا أبراج بابل
واستباحوا الكادحين
سرقوا الملوك المفلسين
مسخوا شعارات الرجال الطيِّبين
وقفوا على بوابة الليل الطويل مهومين

نطحوا الحوائطَ

سودوا الصفحاتِ

عادوا خائبين

خاروا مع الثيران في الأرض الخراب مكبَّلين

نهبوا ربيع الآخرين .

جمعوا الطوابع والكلابَ

وزيفوا صيحات فجر المتعبين

وطبّلوا للتافهين

أنا لا أخاف الموتَ

لكني أخاف الموت بالمجان

باسم غرابهم هذا اللعين

موسكو - ٢٠ - ٩ - ١٩٦٢

أوراق وردٍ طيَّرتها الريح
الأسد الميت خير من غرابٍ ناعبٍ يصيح
باع دم المسيح
ليشتري به حماراً ملكاً كسيح

مشيتَ شهراً دون أن تعبر نهراً أيها الصديق
أنت بعيني ميت غريق .
كان يحاكي الرعد والحريق
لأنه يعرف من أين وكيف يبدأ الطريق

في وجهه براءةُ الأطفال
لكنه كان أميراً مفلساً محتال .
الريح في التلال
تعدو وراء الليل والظلال

الفارس الحزين
كان يغني تحت شباك أميرٍ مفلسٍ بطين .
مررت بالسنين
وأنت لم تكبر ، أيا لعين

عباءة الجليد
تذوب تحت الشمس ، أنت صامت وحيد

لأن حبي مات منذ زمن بعيد
وها أنا أضحك في عبي وأمضي تاركاً عباءة الجليد

موسكو - ١٦ - ٨ - ١٩٦٢

- ١ -

يا من رأى أحفاد عدنانٍ على خشب الصليب
مسمَّرين
النمل يأكل لحمهم
وطيور جارحة السنين
يا من رآهم يشحذون
يا من رآهم يذرعون
ليل المنافي في محطات القطار بلا عيون
يبكون تحت القبعاتِ
ويذبلونَ
ويهرمونْ
يا من رأى « يافا » بإعلانٍ صغيرٍ في بلاد الآخرين
يافا على صندوق ليمون معفرة الجبين

- ٢ -

يا من يدق الباب
نحن اللاجئين
متنا
وما « يافا » سوى اعلان ليمونٍ

فلا تقلق عظام الميتين

- ٣ -

« الآخرون هُمُ الجحيم »

« الآخرون هُمُ الجحيم »

- ٤ -

باعوا صلاح الدينِ

باعوا درعه وحصانه

باعوا قبور اللاجئين

- ٥ -

من يشتري ؟ ـ الله يرحمكم

ويرحم أجمعين

آباءكم ، يا محسنون ـ

اللاجىء العربي والانسان والحرف المبين

برغيف خبزٍ

إن أعراقي تجف وتضحكون

السندباد أنا

كنوزي في قلوب صغاركم

السندباد بزي شحاذ حزين

اللاجىء العربي شحاذٌ على أبوابكم

عار طعين

النمل يأكل لحمه

وطيور جارحة السنين

من يشتري ؟ يا محسنون !

- ٦ -

« الآخرون هم الجحيم »
« الآخرون هم الجحيم »

- ٧ -

العار للجبناءِ
للمتفرجين
العار للخطباء من شرفاتهم
للزاعمين
للخادعين شعوبهم
للبائعين
فكلوا ، فهذا آخر الأعياد ، لحمي
واشربوا يا خائنون

برلين الغربية - ٣ - ٨ - ١٩٦١

أنا وأنتِ أبداً

« الى هند »

من أجل عينيكِ الجميلتين
صليتُ مرتين
أوقدت شمعتين
بكيتُ ، يا حبيبتي ، فالبين
يمد لي يدين
عبر دموع الأرض ، لي يدين
أخاف أن تستيقظي
وتقرئي
دامعة العينين
قصيدتي
فلتذكري بيتين :
أنا وأنتِ أبداً
نظلُّ عاشقين

موسكو ـ ٢٥ ـ ١ ـ ١٩٦١

- ١ -

صبوا الماء على الماء
رقصوا فوق حبال الكلمات الصفراء
صنعوا شعراء
نصبوا خلفاء
ومطايا وطواحين هواء
فإذا الكل هباء
قَبْضُ الريحِ
غثاء
الشعر نقاط سوداء
الحب بكاء
التاريخ فتوح نساء
فالكلمات الكاذبة الجوفاء
لن تصنع عنقاء
من جمل الصحراء

- ٢ -

القطط العمياء

تلد القطط العمياء

- ٣ -

مَنْ أسكتَ صيحات الشعراء ؟
من يبكي !
مَنْ مات ؟
قبض الريح
فانثر أزهارك في الريح
واصمد في وجه الريح
واصفع تجار الكلمات
العور الأقزام
سقط متاع الأيام

- ٤ -

أرض الصلوات الخرساء
ولدت فأراً
ولدت حرباء
وسبايا وفقاقيع هواء

- ٥ -

حبي : مائدة الفقراء
حزني : بستان التعساء
فليشرب ماء البحر الأعداء

موسكو - ١٩٦٣

لماذا نحن في المنفى ؟

« اللاجئون يسألون »

لماذا نحن في صمتِ
نموتُ
وكان لي بيتي
وكانت لي
وها أنتِ
بلا قلبٍ ، بلا صوت
تنوحين ، وها أنت
لماذا نحن في المنفى
نموتُ
نموت في صمتِ
لماذا نحن لا نبكي
على النارِ ،
على الشوكِ
مشينا
ومشى شعبي
لماذا نحن يا ربي
بلا وطنٍ ، بلا حبٍّ

نموتُ
نموتُ في رعبٍ
لماذا نحن في المنفى
لماذا نحن يا ربي ؟

موسكو ـ ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٦٠

لا تسدلوا الستار
هذا أنا هاملت ، لا تقاطعوا الحوار
بلا قناع ، أهتك الأسرار
لا تضحكوا ، فإنني أموت ، يا أشرار
أديتُ دوراً ، كان . . . لا تقاطعوا
من أفجع الأدوار
فالمسرح العالم التيّار
يجرفني
وإنني أنهار
لا تضحكوا
وأوقفوا التيار
لا تقلبوا شفاهكم
لا تطفئوا الأنوار
فإنني أموت ، والدوار
يلفّني والنار
تلتهم الستار
لا تضحكوا
لا تلمسوني، أيها الأشرار
دمي ، أنا هاملت

ـ لا تقاطعوا ـ
يلطِّخ الجدار
وخنجري يغوص في القلب الى القرار

* * *

هذا أنا هاملت ، محمولاً مع التيار
بلا قناعٍ
أعبرُ الأنهار
عبر حدود المسرح الصغير والستار

موسكو ـ ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٦٠

إلى جواد سليم

- ١ -

النار في الرماد
والموت في بغداد
ونشوة اللون وحزن الصمت والأبعاد
والقلق اللاهث والحمى التي تقصف في ربيعها
الأوراد
تشعل في الخطوط والألوان والسواد
حرائق الليل التي لا تنطفي
حرائق الأعياد
كانت ربيعاً أسوداً
طفولة ضائعة الميلاد
لم تُطق الرقاد
توهجت عبر جدار المستحيل
وغد الحصاد
مَنْ أطفأ الشموعَ
مَنْ مزّق في سكينهُ الفؤاد
مَنْ خبأ البذور في الصقيعِ
والدموعَ في قبعة الحداد
الشاهد القابع في الظل

تدلى رأسه
وماد

- ٢ -

النهرُ
نهر الموت ضلّ دربَه
وابتلعته ظلمة الغابات
الشمسُ
شمس الليل عبر حائط الأموات
تشرق في الواحاتِ
واللوحات
يا نخلةً صامدةً في غمرة المأساة
والملحِ والعُقم الذي يصنع في صحرائنا العاهات
يا ساحل الآهات
الشاهد القابع في الظل
تدلى رأسه
ومات

- ٣ -

الموتُ في الميلادِ
والخريف في الربيع
والماء في السرابِ
والبذور في الصقيع

- ٤ -

الكلمات نزفت دماً على الكتاب
توهجت وانطفأتْ
وغابَ
حضورها ـ الكلمات مطهر العذاب ـ
تكدست
وأنت في الضباب
تفتح للشمس طريقاً
تفتح الأبواب
يا إخوتي ادخلوا ، قميصُ الليل ، مبتلٌ ويا أحباب
حرائق الشباب في زماننا البخيل هذا
تصنع العجاب

موسكو ـ ١٩٦٢

عندما استيقظ حبي
كان ثلج العالم الأسود ، ربّي
يغمر الغابةَ
يطفو فوق هدبي
كان قلبي
موحشاً مكتئبا
جائعاً منتحبا
مثل طفلٍ ، مثل عصفور يغني
في صحارى عطشي
في ليل حزني
كنت لا أملك الا النار والعشب
وكنتُ
كلما شبّ لظاها
شبّ . . . صحتُ :
أيها النار أضيئي كلماتي
واصنعي منها وجوداً لحياتي
فهي خبزي وسلاحي
وجناحي
وأنا من دونها أعمىً . . .
وصحت . . .

وتمزقت ، وكان الثلج ربي
يغمر الغابة
يطفو فوق هدبي
عندما استيقظ حبي

موسكو ـ ٣ ـ ٦ ـ ١٩٦٠

إلى لويس أراغون

كلماتُكَ الخضراء في ليل انتظاري
نفذت بلحمي مثل نار
ثأرت الى صمت البحار
عبرت صحاري
حلّت بداري
ضيفاً
وباتت في قراري .
كلماتك الخضراء بعثرت الدراري
في ليل باريسَ الطويل
وباركت نوم الصغار
صبغت قصائد حبنا بدم الكنار
« لا ! لن تمروا أيها الفاشستُ ! »
في باريس تعلو كل دار
مكتوبة بدم ونار
وحمامة مصلوبة فوق الجدار
كلماتك الخضراء باتت ـ رغم أحزان النهارِ ـ
خمراً وخبزاً في قراري
وغداً أطوف به على فقراء مكة في القفار

سوجي ـ البحر الأسود ـ صيف ١٩٦٠

- ١ -

بدمِ القلب ، بطاقات الرماد
كُتبتْ
أين كنوز السندباد
منك ، يا زاد المعاد
آه لو أحرقت أشعاري
وأغرقت الليالي بالمداد
لكتبتُ مرة أخرى
بطاقات الرماد
بدمِ القلب
وأطعمت القوافي للجراد

- ٢ -

صبغت ليلي الجراحْ
وطني ناءٍ ، وكفي يبست فوق السلاح
أين مَنْ يُسكت في الأفق النباح
أينَ مَنْ يبصق في وجه المخانيثِ
ومن يزرع في الملح أقاح
أينَ مَن يُشعل في صدري قناديل الصباح
وطني ناءٍ ، فيا ليت بطاقاتي جناح
لتطيرِ الليلة ، الليلة في أفق الجراح

- ٣ -

البحيراتُ وضوضاء الليالي والجبال
والمخانيث وأشباه الرجال
قطعوا الدرب علينا
أغلقوا باب المحال
أيها الفارسُ
يا منتعل البرق ، تعال !
إن لي بيتاً على خضر التلال
خلعت أبوابه الريحُ وأبقته على الدهر سؤال
أيها الفارسُ!
من أعماق ليل الموت والصمت، تعال !
فأنا ألتهب الليلة كالشمعة في صمت الظلال

- ٤ -

دقت الساعاتُ في قلب الضباب
نبحت عبر الميدان الكلاب
وأنا أدفن رأسي في كتاب
أبداً أسمعك الليلة عبر ألف باب
أبداً تنعب في الأرض الخراب
أبداً تأكل من لحمي
وتستلقي على صدري اضطراب
أيها المستنقع الآسن ، يا صوت الغراب
قدمي غاصتْ بأوحالكَ

يا صوت الغراب
أين أمضي ، وطني ناءٍ وكفاك على رأسي تراب
أين أمضي ، فارسي مات على أبواب بغداد سراب
يا غراب البين ، لا تتعب
فأيامي رحيلٌ واغتراب

- ٥ -

صوتُ أطفالي نصالْ
نفذتْ في القلب ، قالت لي تعالْ !
وأنا أختنق الليلة في ذلّ السؤال
أين مَنْ يُسكت صيحات « تعال »
ملأت صدري أنيناً وسعال
ورقادي بالظلال

- ٦ -

القناديل بصدري انطفأت ، أين الضياء ؟
افتحوا الأبواب للنور ، افتحوها !
أصدقائي الفقراء
أصدقائي الشعراء !
فأنا أحترق الليلة كالشمعة في صمت البكاء

- ٧ -

احمليني يا رياح !
عبر آلام الليالي
احمليني يا رياح !

موسكو - ٢٧ - ١٢ - ١٩٦٠

إلى البير كامو

- ١ -

سبعة أقمار على التلال
حافية ـ أسلحةٌ ، أقوال
ضمائر ، أقفال
للبيع ـ أنت متعب ، تعال !
نهيم في حدائق الليال
نطارد الظلال
نرقب فجر العالم الجديد في الجبال
نُمسك في شباكنا فراشة المحال
نشرب شايَ العصر في وهرانَ ، فالأغلال
أدمتك يا سيزيف
يا فارس عصر أدرك الزلزال
تعال ، أنت متعب ، تعال !
نغلق عين الأُسد الجوّال
تعال ! فالأَطفال
ناموا ونام الفارس المُتعب في الأسمال

- ٢ -

خناجر الفجر
تلمع في الكهوف في مخابىء الشجر

تغرز في أضالع القمر
وأنت مشدود إلى حجر
تغمرك الأعشاب والأملاح والمطر
وحولك الصلبان غرقى
آه لا تسترق النظر
فألف بابٍ أغلقت وألفُ سرٍّ دوننا انتحر
تعال نُطلق صيحة الظفر
ونوقد النيران في الجبال
في منازل البشر
ونرقب البريد وهو يحمل الزهر
والخبز والأشعار والمسائل الأخر
فأنت لي الشبّاك والعيون والنظر
وأنت لي بطاقة السفر

- ٣ -

النهر للمنبع لا يعود
النهر في غربته يكتسح السدود

موسكو - ٨ - ١ - ١٩٦١

المغنّي والقمر

- ١ -

رأيته يلعب بالقلوب والياقوت

- ٢ -

رأيته يموت

- ٣ -

قميصهُ ملطخٌ بالتوت
وخنجرٌ في قلبهِ
وخيط عنكبوت
يلتفّ حول نايهِ المحطم الصموت
وقمرٌ أخضر في عيونهِ
يغيب عبر شرفات الليل والبيوت
وهو على قارعة الطريق في سكينةٍ يموت

موسكو - ٢٦ - ١ - ١٩٦١

- ١ -

كتبت باسم البسطاء أحرف القصيد
عمّدتها بالدمِ
عمّدتُ بها صباحنا الوليد
وها أنا وحيد
أمد قوسَ قزحٍ لوطني البعيد
أرفع راية الشهيد
أحمل من منفىً إلى منفى عصايَ
حبيَ الشريد
فليهنأ الأمير ، فالشموس والجليد
قبّعتي
تاجي الذي اشتهيتهُ ، ملاذيَ الوحيد
وليهنأ الرفاق ، فالحديد
والسلُّ والحصار لن يفلَّ من عزيمة الفارسِ
لن يجعلنا عبيد

- ٢ -

أنا لإنسان بلادي أملٌ جديد
أورق في الجليد
قبعتي الشمس وتاجي الثلج والحديد
كتبت باسم الشهداء أحرف النشيد

- ٣ -

قصائدي : بساطة العصفور وانتفاضة العبيد
وقصفة الرعود
وحسرة الربيع في جنائز الورود
وصرخة الانسان في دوامة الوجود

- ٤ -

حجبتَ ضوءَ الشمس بالغربال
أومأت للنجوم أن تنهال
على جبيني
وفرشت الأرض بالظلال
وزنتني بذهب العالم ، قلتَ ، أنتَ لي ، تعال
منحتني كوخاً على مشارف الجبال
سقيتني الخمر ، وقلت كل ما يقال
هدهدت أوجاعي
وأيقظت حنيني لنداء البحر والترحال
وها أنا اليوم وحيد أذرع الليال
قبعتي الشمس وتاجي الثلج والأقوال

- ٥ -

قصائدي شمس بلادي وغد الأطفال
ورعشة الزلزال
لن تُشترى بذهب العالم ،
لن تُباع ، لن تُنال

وغشّني الأمير ، يا صغيرتي
وقلب الأوراق
وسلّط الكلاب في صمت الليالي
تنهش الرفاق
وقمر الخيانة الأسود في المحاق

- ٧ -

كتبت باسم الصامدين هذه الأشعار
صنعتُ منها لهمو أقمار
غمستُها بالنار
أغمدتها في قلب ليل العالم المنهار
وها أنا اليوم وحيد أذرع القفار
قبعتي الشمس وتاجي الشوك والصُبّار

- ٨ -

قصائدي تجوب في أعتاب
بغداد ، عني تسأل الأحباب
يا سامعين الصوت ، يا منتحلي الأسباب
لا تتركوا حروفها في الباب
واقفة يشتمها البواب
وينزع الإكليل عن جبينها
ويترك الكلاب

تحوم حول دمها المنساب

- ٩ -

ليطمئن بالُه ـ الأمير ـ فاللعبة تمّتْ
تمّتِ الفصول والأدوار

- ١٠ -

ليُغرَق العراق
بالدم
إن حبنا استفاق
ليغرق العراق
ليغرق العراق

١٩٦٠

الفجر يذيب المسوخ

إلى ذكرى بول ايلوار

قبضة الملح التي تُلقى على الميّت في ليل الخناجر
صيحة الطير المهاجر
زنبق الحقل الذي يذبل في ديوان شاعر
ريشة البلبل
أنّات القياثر
قلب بغدادَ ، ملايين الحناجر
صرخت بالموت كلا !
هزمت ليل المقابر
عرّت الأشباه والخصيانَ من تيجانهم
داست على أنف المكابر
نزعت أنياب نمر الورق المحشو بالقشِّ
وأثواب المخانيث العواهر
فإذا الكل على مزبلة التاريخ أصفار وأشباه قياصر
يعلكونِ الخطب الجوفاء في عيد المساخر

يا جواد الصبح ، يا لوعة حرفٍ في المحابر
ظل محبوساً ،
وظل القلم الحر يحاصر

وجهَ هولاكو
بأعياد المساخر
أعد الليلة للأهل المسافر !
أعد الصيحة للطير المهاجر !
أعد الريشة للبلبل ،
والزنبقَ في ديوان شاعر !
أيقِظ الميّت في ليل الخناجر

١٩٦٢

إلى بابلو بيكاسو

أغنية اللون الجريح تعبر النهر
تنثّ من أهدابها رائحة المطر
تغمز للقمر
ترقص حول نفسها
تضاجع الزهر
تُريح نهديها على الوتر
تصبغ جدران مقاهي الفجرِ
تستولي على كآبة الحجر
تشحذ في مدريدَ
في بيوتها
خناجر الغجر
تمزج في خصلتها السماء والعالم والقدر
وتحرم البشر
من نومهم
من أن يموتوا في سراديبَ من الضجر

طعامك النار وصمت البحر والسحر
غمرتني بالأزرق الدافىءِ
فاستحالت الفرشاة في كفي إلى وتر

الثلج في قصائدي يذوبُ
في حقائب السفر

بوّابة العالم في حذر
تفتحها عيون طفل مهمل الشعر
طوّف في الليل كثيراً
أدرك الفجر الذي انتصر

٣ - ٨ - ١٩٦١

الفارس فوق المدخنة

الشمس والفارس فوق المدخنه
ينازل اللصوص والمشوَّهينَ
بالحروف المؤمنه
يذرع صيف الأزمنه
يثأر للحقيقة الممتهنه
يحمل في ضلوعه صليبه ووطنه
يموت فوق المدخنه
وحائط الرصاص والنوافذ المُسنَّنه
يُمَدُّ ألفُ خنجرٍ منها
وألف لفظة مُبطنه
لتطعنه
لتطعنه
وهو يموت حاملاً صليبه ووطنه
الفارس الميّت ألقى كفنه
وعاد فوق المدخنه
ينازل اللصوص والمشوهين بالحروف المؤمنه

٦ - ٢ - ١٩٦١

ـــ مقاطع من السمفونية الخامسة لبروكوفيف ـــ

ـ ١ ـ

قطارنا الأخير في الغسق
أعْول واحترق
قطارنا أعول واحترق

ـ ٢ ـ

تركتني يسوع في منتصف الطريق
أجف كالنواةِ
كالكتاب فوق الرف
كالغريق
أنزف في مجاعة الحريق
دماً
أموت
كلماتي احترقت
يسوع ! في منتصف الطريق
حدائق الثلج بقلبي أظلمت
وانطفأ البريق

ـ ٣ ـ

بحثتُ عنك طول ليل الليل

وانتظرتُ
أن تمر في الطريق
تمد لي عبر المتاريس يدي صديق

- ٤ -

مدينتي دمّرها الزلزالُ
أفنى أهلها الطاعون
أصابها الجنون
عاثت بها الفئرانُ
غاض الماء في العيون

- ٥ -

تركتني يسوع
أحمل في مدينتي الأموات
من بيتٍ إلى بيتٍ
صليبي
ودمي ينزف في قبعتي
يسوع !

- ٦ -

الذئب في الأفول
يعوي
وغابات الليالي احترقت
ومات في المجهول

سرٌّ صغير متعب مغلول

- ٧ -

تركتني منفرداً وحيد
أنزف في محارق الجليد
دماً
أموت
أرقب البريد

- ٨ -

قطارنا الأخير في الغسق
أعول واحترق

١٩ - ٥ - ١٩٦١

إلى عبد الله كوران

الثلج في جبال كردستان
يذوب
والربيع في الوديان
والكلمات ملح خبز الحب والأغان
يمد منها ألف جسرٍ عبر ليل الموت والفقدان
يزهر في حروفها بستان
يذيب في لهيبها المسوخ فجر الكادح الفنان
يولد شعبٌ ، يولد الانسان
فلتصعدي القمة يا عروسة الشعر ويا قوافيَ الأحزان
ولتعبري البحار والأزمان
ولتُدركي الفجر الذي يطلع في جبال كردستان
هناك في القمة حيث الثلج والنيران
هناك عرّى صدره للشمس والعقبان
شاعرُنا كوران
من أجل أن يولد شعب يولد الانسان

إلى شاعر عدو

الكلمات تصنع السماء والأشجار
والحزن والأشعار والأمطار
الكلمات النار
لكنما الأحجار
تبقى على الرصيفِ
تبقى أبداً أحجار
يلعب فيها الشاعر الأعمى
ويبني حوله جدار
رأيتها ، رأيته
مهرجاً في السوق محمولاً على الأكتاف في غاشية النهار
تبيعهُ ، يبيعُها
مَنْ يشتري الأحجار ؟
غير الملوك المفلسين وذوي العاهات والأصفار
رأيتهم يصفقون : إنه معجزة الزمانِ
كيف وَلَدَ الجدار؟
فأراً كهذا الفار
يقرض ، ماذا ؟
أيها الشعر تمهَّلْ ! وانتحبْ يا عار !
يقرض لحم الميتينَ
يقرض الأشعار

- ١ -

مصباح علاء الدين

صغيرتي . . نادية
رأيت في سماء عينيكِ
رأيت الله والانسان
وجدت مصباح علاء الدين
والجزائر المرجان
قلتُ لشعري كُن !
فلبى عبده
وكان
طفولتي رأيتها تبحر في عينيكِ
في شراع هذا الأبد السكران
أبحرت ، فالرياح لا تنتظر الربان
أبحرت فالوداع يا سماء عينيها
ويا طفولة الانسان
غداً بمصباح علاء الدين من جزائر المرجان
أعود يا صغيرتي ، اليك ، بالأزهار
من نهاية البستان

- ٢ -

الأب الشاعر

فِي مدن العالمِ
فِي بيوتها
فِي العلب السردينْ
فِي وحشة الغروبِ
فِي الخريفِ
فِي زماننا الحزين
فِي الساعة الخامسة العشرين
رأيته يدوس فوق ظلهِ
يدقُّ فِي ضلوعه اسفين
يمنح للجياع والباكين
ربيعه الأسودَ
فيْض حبِّه الدفين
يُسكت جوع نسره
بمضَغٍ من قلبهِ
ويكتم الأنين
يموت والإصرار فِي عيونهِ
فِي الساعة الخامسة العشرين

الصحف الصفراء

الصحف الصفراء في زماننا
توزِّع الألقابْ
تلثم أيدي القاتلينَ
تمسح الأعتاب
تمنح أشباه الرجال العوز والأذناب
صكوكَ غفران بلا حساب
تطلق غربان الحروف السودِ
تحثو أوجه القرّاء بالتراب
يطنّ في سطورها البليدة الذباب
تنبح في أنهارها الكلاب
أبطالها مزيفو النقود والتاريخ و الأفكار
ولاعبو الحبال والمهرجون كاتمو الأسرار
وجوقة الأوغاد والأشرار
رأيتهم في كل أرض حبلت بالرعد والأمطار
تحت نعال الكادحين ويد الثوار
منكّسي الراياتِ
في عيونهم مذلة وعار
ينتظرونَ
أن ماء البحرِ لن يغسل هذا العار

- ١ -
الصيف الأخير

ألف رؤيا عبرتْ
في جوع صحرائك خبز الآخرين
ذهب الموتى وعاد الميِّتون
لا تُجرِّحْ وجنة الحرف الحزين
إنها الشمس، وها أنت مع الشمس وحيدٌ
في سهوب الآخرين
لوعةُ الأمسِ
وأشعاركَ
أنهار الصّبابات ، بكاء العائدين
نُهبتْ
حتى صباح الياسمينْ
ديس بِالأقدام
داستهُ خيول الفاتحين
قطرةُ الماءِ
سواقي الليلِ
نهر الهائمين
جَفّ

فالصحراء قبرٌ ، لا تُجرَحْ وجنة الحرف الحزين
إنه الصبّار والصخر وصمت الآخرين
إنه الباب الذي يحرسه التنّينُ في صيف السنين
عطشي نهر الحنين
وينابيع اليقين
لا تدقّ الباب ، فالحرف ضنين
هارب أنت، وها أنت سجين
تذرع الصمت ، تنادي الميّتين
كلهم ماتوا !
سهوب الصيف غصّتْ
بقبور الميتين
آه لا تنزع قناع الفارس الميّتِ
ها أنت مع الشمس وحيدٌ
في سهوب الآخرين

- ٢ -
الجرح

كلما عُدتَ من المنفى
التقت عيناك بالجرح القديم
قبّة الليل البهيم
وقناديل الطفولة
والفراشات وَأعراس النجوم
وطواحين الهواء
تملأ الليل بكاء

كلما عدتَ رأيت الجرح في نفس الرسوم
صيحة الديك ونيران القبيلة.
ضوأت وانطفأت فهْي رماد في الأصيل
ومناديل رحيل
عبر باب المستحيل
كلما عدت رأيت الجرح في عين الدليل
إنه الجرح القديم
أبداً تحمله في ليل أوروبا البهيم
إنه الجرح الذي حطّم قلب السندباد
إنه نفس الرماد
يملأ الكأس التي تشرب منها
آه حدثني عن البحر وعنها
أيها المنفيُّ حدثني ، ولا تطفىء شموعك
آن أن تنشر في الفجر قلوعك
آن أن تحرق جرحك
آن أن تغرز رمحك
في فم التنين ، في الجرح القديم

مرثية إلى ناظم حكمت

- ١ -

الموجة العذراء

الموجة العذراء
تضفر شَعْرَ أختها في وحشة المساء
تتزلق الأسماك في شباكها
تنزلق السماء
تحمل نعش طفلها الشاعر في أرجوحة الضياء
تسحر في غنائها زنابق الشواطىءِ السوداء
تطفو على جبينها الأعشاب والرمال والأهواء
من ألفِ ألفٍ وهي في صلاتها الخرساء
مات على أقدامها « عوليس »
مات فارس الصحراء
تكرّ في حياء
تفرّ ، لا أحلى
حروف الكتب الصفراء
تكوّرت
تفتحت عن زهرة حمراء
الشاعر الطفل يعود حاملاً قيثارة الأحياء
يفتح عينيه على الرذاذ والبروق والأصداء
الشاعر الطفل يشكّ وردة في الموجة العذراء

النسر فوق « الأناضولِ »
يبسط الجناح للجوزاء

- ٢ -

المغني الجوال

كان قطار الليل في الأمطار
يعبر جسر العالم المنهار
يحمل لي الحروف والتفاح والأزهار
يحمل لي من وطني البعيدِ
في ضلوعه قيثار
وحفنةً من الترابِ
حفنة ونار .
كان قطار الليل عبر حائط النهار
مُدَثَّراً بالثلج والأسرار
غفوتُ واستيقظتُ
كان الفجر من نوافذ القطار
يمد لي جسراً
إلى « استامبولَ »
يا حبيبتي
يمد لي دثار
وجورباً . . إن الشتاء يقحم الأسوار
رحلتنا إلى جبال الملح كانت
آه يا حبيبتي
انتحار

- ٣ -

الحب في الخريف

الورْقةُ الأخيرة
تسقط في حديقة الأميرة
يا عندليب الموت
يا مخالب الظهيرة
لا تنبشي المسائل الصغيرة
لا توقظي الأميرة
مُدّي إلى بئر حياتي المظلم الضفيرة
ولملمي الآنية الكسيرة
ودثريني ، فأنا بردان في الظهيرة
فالعين ، يا حبيبتي ، بصيرة
لكنْ يدي قصيرة
وأمنياتي فجّةٌ ضريرة
سفينتي أحرقتُها
بحّارتي ماتوا بلا جزيرة
يا هذه القصيدة الشرّيرة
يا هذه الأسيرة
قصائدي أحرقتُها
قصائدي الأثيرة
الحب بعد حبها
وريقتي الأخيرة

- ٤ -

جلال الدين الرومي

« اصغِ الى الناي يئنُّ راوياً . . . »
قال جلال الدينْ
النار في الناي
وفي لواعج المحبِّ
والحزينْ
الناي يحكي عن طريقٍ طافحٍ بالدمِ
يحكي مثلما السنين
« شيرينُ » يا حبيبتي
« شيرين »
دارَ الزمانُ
احترقتْ فراشتي
تَغَضَّن الجبين
وانطفأ المصباح ، لكنني مع السارين
مع المحبين ، مع الباكين
أحمل أكفاني
يئنّ راوياً
قال جلال الدين :
« مَنْ راح في النوم سلا الماضي »
مع الباكين
« شيرينُ » يا حبيبتي
« شيرينْ »

- ٥ -

النهاية

أُعدمتُ في اليونانْ
تفتّحت في الليل وردتان
سال دمي على جبين القمر النعسان
وعاد عاشقان
من رحلة الضياع والأحزان
قلبي مع الأطفال في حدائق الزمان
دقّ ، ودقّت ساعة الميدان
يا إخوتي
رحلتنا تمت
سلاماً !
أيها الربّان
الموجة العذراء عادت ، تذرع البحرَ ، وعاد الشاعر الانسان
لوطن الأوطان
« شيرينُ » يا حبيبتي
ودقّتِ الأجراس في مدائن الدخان
أجملُ انسانٍ على الأرض يموتُ
أجمل الأغان
رحلتنا تمت
سلاماً !
أيها الانسان !

مرثية أخرى إلى ناظم حكمت

البطل الأسطورة
يعود من رحلته الأخيرة
منتصراً
مُعانقاً مصيره

- ١ -

السحابة العاشقة

يتيمةً الوطن
كنتُ ، وكان طائرُ الشجن
رفيقَ رحلتي إلى الكفن
كان صِبايَ
حبيَ الأخيرِ
طائري ، إذا ما أظلم الفنن
رفيق رحلاتي إلى الوطن
في وحشة الزمن
كان حياتي ، فأنا من بعدهِ
سحابة تطفو على القُنَن
تطردها الرياح من منفىً
إلى منفى
تشدّ شَعْرَها المحن
مَنْ أيقظ الغارقَ في صلاتهِ

مَنْ دقَّ بابي ؟ مَنْ . .
يا زورق الوسن
خذني إلى « استامبولَ » إنّي لم أمُت
يا زورق الوسن

- ٢ -
الأمير النائم

العالم الكبيرْ
تحت وسادة الجميل النائم الأميرْ
يعجّ بالكثير :
قصيدة ، فراشة ، غدير
علبة حلوى ، دمية ، يعجّ بالكثير
وشالُهُ الأحمرُ والقرنفلات تحرس السرير
وشمعةً تضيء حلم ليله الأخير
كقطرةٍ من ذهبٍ ، كقطرة العبير
تخرق ديجور الفراغِ
شمعةُ المصير .
كان ينام ، كانتِ ابتسامةً تمر فوق فمه الصغير
وخدُّهُ المورَّد المنير
كالقمر الميت في غياهب الحرير
كان ينام
كانت « استامبولُ » في خيالهِ
فراشةً تطير
حطّت على القرنفلاتِ

أيقظت من نومه الأمير

- ٣ -

شتاء في باريس

باريس في الشتاءْ
تدثّرت بالثلج والفراء
فما لقلبي ظلّ في العراء
يبكي كعصفورٍ على الأرصفة البيضاء
يبكي ، نوافذ البيوت نُوِّرت
وأقبل المساء
كمثل آلاف الأماسي
بارداً
يبكي . . بلا عزاء
باريس شاخت
وأنا ما زلت طفلاً
حرفتي التجوال والغناء
حانات ليل العالم الطويل
والثلج الذي تغمره الكآبة الخرساء
وذلك الصوت الذي تُرعشهُ
بائعة « الأوركيد » في المساء
يحمل لي رائحة الموت الذي يحوم في الهواء
يدق مسماراً بتابوتك ، يا حبّي
ويا بوّابة الهناء
لن نعبر الجسر اليك ، مرة أخرى
ولن نعود في المساء

باريسُ ماتت

فوداعاً أيها الأحياء !

- ٤ -

العودة من المنفى

ولادةٌ أخرى هو الموتُ ، هو الإياب

الرمل والحصى على الشاطىء والضباب

زوارقُ الحبِّ

تحطمت

وغاض النورُ في العبابِ

ريشةُ نسرٍ غُرزت في وردةٍ ، كتاب

ظلَّ طوال الليل مفتوحاً

وظل العندليبُ ساهداً في الغاب

ـ ناظم عادَ ! مَن يدق الباب ؟

عاد من المنفى مع الطيور والسحاب

كان الصدى يزقو

وكان البحر في انتظارهِ

يدحرج الأحجار والأخشاب

ناظم عبر الأناضول ، فافتحوا الأبواب

يسقي الدوالي

يغرس الزيتون في الهضاب

وعرق الظهيرة الحمراء في الأهداب

كان جلال الموتِ

كان حفنة التراب

ناظم عادَ ، فافتحوا الأبواب !

رأيتُهم في ليل أسفاري يُقَنِّعون العارَ بالعار
أقلامهم للبيع معروضة في أيّما حانوت سمسار

كلاب الجحيم
تطاردني في المسير الطويل
وتنبح في العاصفهْ
أيا قمر الثلج فوق جبال العويل
ويا رحلتي الخائبه
بأيِّ الهُوى وبأيِّ الدروب
تموتين يا نجمتي الشاحبه
إلهٌ يرود مراعي السماء
إلهٌ تطارده العاصفه
تلفّع بالسحب النازفه
وكان رحيل
وكان عويل
وكان مسير طويل
إلى الجُلجُله
فما أطولَ الليلَ ، ما أطوله
رأيت النسور تموت انتظاراً

رأيت الإله على المقصلهْ
رأيت الديوكَ على المزبله
ديوكَ الصباح
وصاحت وصاح
غرابٌ ، وكان رحيل
وكان عويل
وكان مسير طويل
هو الليل لا يعرف المستحيل
يدق الطبول
ويرخي على كل أرض سدول
فيا نجمتي الآفله
ويا عطش القافله
وداعاً ! وداع !
فَعَبر البحار يرف شراع
ويرتجّ قاع
وتُفتح نافذةٌ في الظلام
على طرقٍ مُشمسه
وتمتد أيدي رفاقٍ جددْ
غداً نلتقي !
بعد غد
فقد طال ليل الرحيل
وطال النوى
ومات رفاقي وظلَّ الشراع

يجوب البحار
وظلت كلاب الجحيم
تطاردني في المسير الطويل
وتنبح في العاصفه
كفرت بهذا العذاب
كفرت بهذا السراب
بنار القبيله
بهذي الوجوه الذليله
فَمَن يقتفون ؟
وَمن ينبحون ؟
رأيتهم في ليل أحزاني . . عالمهُمْ جنةُ حيوان
أقلامهم للبيع معروضة
في أيما سوقٍ ودكان

١٩٦٣

أغمدوا الرمحَ بصدري
قطعوا آهِ لساني
سملوا عيني
وَمَرّوا
تركوني جُثةً للضَّبُعِ العاوي على شاطىء نهرِ
سرقوا ناري وعشبي
أحرقوا واحة حبي
حرّموا في وطني العالم أشعاري وكتبي
وأقاموا بيننا ألف جدار
آه يا سلّ الحصار !
جثتي في شاطىء النهر رماد
نبتت من فوقها زهرةُ نار
نُزِع الرمحُ وصار
رايةً
نسراً وطار .
فُتِحت عيني وكرّت موجةٌ تلثم صدري
أقبلَ الشاطىء يجري
طار نسري

عاد لي صوتي ونحبي
أزهرت واحة حبي
حُطِّمت في وطني الأبواب وانهار الجدار
آه يا حلمي الذي ينخر في قلبي ويا سلّ الحصار

قلتُ لكم ـ لكنكم أشحتمُ الوجوه
عالمكم مزيفٌ وحبكم مشبوه
يا أيها الأبواق ، يا بهائماً في السوق
قلت لكم عليقكم مسروق
لكنكم نفختُمُ في البوق
قلتُ لكم
أحس في الهواء
رائحةَ الطوفان والوباء
لكنكم شهرتُمُ السيوف في وجهي
وأسرجتم خيول الصلف العرجاء
نفختُمُ أوداجكم
يا أيها الضفادع العمياء
شربتُمُ البحار
وانحسر التيار
سرقتُمُ كنوزيَ المخبوءة
لكنكم لم تسمعوا بقية النبوءة
وها أنا في السوق
أضربُ في السياط ، حافي القدمينِ
عارياً مشنوق

١٩٦٣

- ١ -

اللعنة الأولى

لِتحترق نوافذ المدينه
ولتذبل الحروف والأوراق
ولتأكل الضباعُ هذي الجيف اللعينه
وليحتضر نَسْرُكَ فوق جبل الرماد
فأنت بحارٌ بلا سفينه
وأنت منفيٌّ بلا مدينه
صليبُكَ الغرابُ في المقاطع الحزينه
ينعبُ
يبني عُشَّهُ
يموت في طاحونه
يا صوت جيلٍ مزّقت راياتِهِ الهزيمه
يا عالماً عاش به التجارُ والساسةُ ، يا قصائد الطفولة اليتيمه
لتحترق نوافذ المدينه
ولتأكل الضباع هذي الجيف اللعينه
ولتحكم الضفادع العمياء
وليَسُدِ العبيد والإماء
وماسحو أحذية الخليفة السكران
والعورُ والخصيان

- ٢ -

سفينةُ الضباب، يا طفولتي
تطفو على بحرٍ من الدموع
تشيخ في مرفأها
تجوع
تزني على رصيفهم
تستعطف الخليفة الأبلَه
تستجدي
تهز بطنها ، ترقص فوق لهب الشموع
سفينتي شائخة القلوع
لكنها والبحر في انتظارها
تهمّ بالرجوع

- ٣ -

الصوت الثاني

الرُّخ ماتَ.
بيضةٌ تعفَّنت في طبق الخليفة
الرخ صار جيفة
في طبقٍ من ذهبٍ .. يا زَبَدَ البحار
ويا خيول النار
توثبي واقتحمي الأسوار
ومزقي الشاعر والدينار
وليأكل الخليفةُ الأوراقَ والغبار

ولتسلم الأشعار

- ٤ -

الصوت الثالث

كافورُ كان سيدَ الخليقة
والشمسَ والحقيقة

- ٥ -

الصوت الأول

السيف كان ريشتي
ورايةَ الفجيعهْ
هممت أن أكسره
هممت أن أبيعه
أرانبٌ هم الملوكُ ، حجرُ السقوطِ
رؤيا عصرنا الشنيعهْ

- ٦ -

الصوت الرابع

أنا شججتُ جبهة الشاعر بالدواه
بصقت في عيونهِ
سرقت منها النور والحياه
أغمدت في أشعاره سيفي
وأفسدتُ مريديه ، وضلّلت به الرواه
جعلتُه سخريةَ البلاط والفرسان والأشباه

- ٧ -

الصوت الثاني

الشاعر الغارق في الأحزان والأغلالْ
يعود من غربته ممزقاً جريح
ماذا تقول الريح ؟
للشاعر الشريد
في وطن العبيد
والساسة اللصوص والتجار والأنذالْ
يمرغون القمر الأخضر في الأوحال
ويسفحون المال
تحت نعال جارية
ترقص وهي عارية
وحولهم مهرج الخليفة
يمعن في نكاته السخيفة

- ٨ -

المرثية

تمزقي يا راية الحب فأنت الشاهد الوحيد
عشرون سيفاً ، آه يا عراقنا ، أُغمد في قيثارِهِ
في قلبه الطريد
ضفادعُ من كل فجٍّ أقبلت تؤبِّن الفقيد
ضفادع تشرب خمراً
تأكل الثريد
تقيءُ شعراً

إنه الطوفان ، يا قصائد الشهيد
تطايري ومرّغي عمائم العبيد
وجبهة الخليفة العربيد
في وحل الشارع ، في قمامة الصديد

- ٩ -

اللعنة الثانية

أرى بعين الغيب يا حضارة السقوط والضياع
حوافرَ الخيول والضباع
تأكل هذي الجيف اللعينة
تكتسح المدينة
تبيد نسل العار والهزيمة
وصانعي الجريمة .
أرى على قبابك الغربان
تحجب وجه الشمس بالنعيب ، يا جارية السلطان
أرى الخفافيش على نوافذ البيوت والحيطان
والنملَ والفئران
تعبث في خزائن الخليفة السكران
تمرح في سريره البارِدِ ، فوق جفنه النعسان
تقرض شَعْرَ لحية المهرِّج السأمان
تنام في عمائم العبيد والخصيان .
أرى على أبوابك الطُوفان
يكتسح الساسة والتجار
أرى خيول النار

تدمر الأبراج والأسوار

- ١٠ -

الشاعر بعد ألف سنة

عيونهُ الطينيةُ السوداءْ
تسبر غور الجرح في السماء .
حصانه يصهل في المساء
على تخوم المدن الغبراء
يرود نبع الماء .
حصانه عبر المراعي الخضر والتلال
يوقظ في حافره النجوم والأطفال
يوقظ في ذاكرة السنين
اللهب الأسود والحبَّ الذي يموت في ظل السيوف
عاصفاً مدمراً حزين
عشرون جرحاً
فتحت في صدره فاها ، وصاحت
أشعلت في دمها النجوم
وهو على أسوار بغداد وفي أسواقها يحوم

١٩٦٣

إلى ثوار اليمن

أَمَرَ الملكُ البكّاءْ
أن يُحفَرَ في إبرة
بئر في الصحراء
أن تُضربَ أعناق الكلمات
أن يطفأ ضوء النجمات
لكن الثوار
في صنعاء
حفروا للملك البكّاء
قبراً في الصحراء
هزموا الأقزام العُور
أعداء النور
نصبوا خيمات
في صيف الواحات
ملّوا مثواهُمْ
عبروا حائط مبكاهم
قتلوا الليل الجاثمْ
في صمت الكلمات
رفعوا الرايات
فوق حقول النار

صنعاء الثورة
حفرت للملك البكاء
قبراً في الصحراء

إلى مالك حداد

« وعندما تُغشي باقات الزهور ، عندما الذبول قبل الأوان
يعتري زنابق الحقول ، أحس بالتعاسة »

م . حداد

- ١ -

أحس بالهوان
بالمسرح الخاوي وبالقياثر المحطمة
تئن بالممثل القتيل
بالرائع النبيل
تدوسه الثعالب .
أحس بالكواكب
خجلى على طريقها تعشش العناكب .
أحس بالانسان
دباً يُحَشّى رأسه بالقش والدخان
يباع بالمجان
يحب بالمجان
يكره بالمجان
يَقتلُ بالمجان
يموت بالمجان
أحسهُ استحال خرقةً على طاولةٍ في حان

يُمسح فيه أيما شيء .. أحس آه بالانسان
يركع في مزبلة التاريخ ، في قاذورة النسيان

- ٢ -

الثورة العملاقة
الفكرة الخلاّقة
تجرف في طريقها المسوخ والطبولْ
والجيف المعطرة
والنُصب الشائهة المبعثرة .
تحرث في إعصارها الحقولْ
تُعيد صُنع الرائع النبيلْ
تمنح للممثل القتيل
دماً جديداً ، مسرحاً جديدْ
تنفخ في قصائد الجليد
حرارة الخلْق ، تعيد خَلْقها ، تُعيد ...
تنزع عن انساننا القناعْ
تنزع رأس الدب عنه ، تغمر الأَعماق بالشعاع
تكسوهُ بالريش وبالأزهارْ
تمنحه أجنحة من نار
الفكرة الإعصار .

- ٣ -

لريشتي الشريدة
لغربتي ، للثلج في المنفى ، لهذي النجمة الوحيدة

لشاعر يجوع في الربيع ، لليمامة الطريدة
لثورتي المسروقة الشهيدة
لكادحٍ في وطني يموت في زنزانةٍ بعيدة
لهذه القصيدة
أقسمتُ يا جزائري الجديدة
أن أعبر المخاض
أن أنهضَ الليلة فوق الدم والأنقاض
أن أجمع النجوم والمحارْ
إليكِ من شواطىء البحار
أقسمت للانسان
للأمل الجديد في وهران
لأحرف القصيدة
أقسمت يا جزائري الجديدة
أن أحمل الصليبْ
أن أطأ اللهيب

فهرس المجلد الأول

ملائكة وشياطين

أباريق مهشمة

المجد للأطفال والزيتون

أشعار في المنفى

يوميات سياسي محترف

عشرون قصيدة من برلين

النار والكلمات

عبد الوهّاب البياتي

الأعمال الشعريّة





المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف: زهير أبو شايب



غاليري الفينيق